غازي أحمد

مأساة شاب هندوسي

اعتنق الإسلام

ترجمة
نور عالم خليل الأميني

مكتبة شمس
الرياض

دار الصحوة للنشر

هذا الكتاب

قصة من قصص الصراع بين الكفر والإيمان

قصة تدحض هذه الآراء التى تقول إن العلمانية فيها أى جانب من جوانب الخير .. فالحقيقة أن العلمانية خرافة يمتد فيها الباطل وينكمش فيها الحق .. وهى ستار لمقاومة الإسلام ولتخدير أبنائه !! .

إن هذه القصة التى سطر فيها « كرشن لال » الذى أصبح « غازى أحمد » سطور رحلة إسلامه صفعة على وجه الحضارة المادية وأتباعها الذين يتشدقون بالديمقراطية وبحرية العقيدة ، ويزعمون أنها حق لكل إنسان ، مع أنها فى الحق أكذوبة يريدون بها اختراق الجبهة الإسلامية فحسب .

مكتبة شمس

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب: ٦٠٢٦٥ ـ الرمز البريدى ١١٥٤٥
ت: ٤٨٢٧٦٠٠

دار الصحوة

٧ ش السراى بالمنيل . ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان . ت : ٦٨٨٠٧١
القاهرة

رحمۃ شاب ہندوی
اعتنق الاسلام

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة
٧ ش السراى - المنيل ت : ٩٨٧٩٢٤
حدائق حلوان - مدينة الهدى ت : ٦٨٨٠٧١

مكتبة شمس
المملكة العربية السعودية - الرياض
ص ب : ٦٠٢٦٥ - الرمز البريدى ١١٥٤٥
ت : ٤٨٢٧٦٠٠

غازي أحمد

رسالة شاب هندوسي

إعتنق الإسلام

ترجمة

نور عالم خليل الأمين

مكتبة شمس

الصحوة للنشر

القاهرة

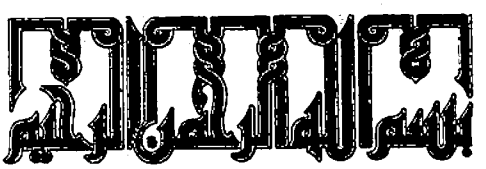
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

– هذه قصة من قصص الصراع بين الكفر والإيمان ...

وهذه القصة تدحض هذه الآراء التى تقول إن العلمانية فيها أى جانب من جوانب الخير ... فالحقيقة أن العلمانية خرافة يمتد فيها الباطل وينكمش فيها الحق ... وهى ستار لمقاومة الإسلام ولتحذير أبنائه !!

– إن الفتى الهندوسى البالغ « كرشن لال » قد ذاق الاضطهاد والنكال من الهيئات والأفراد الهندوسية لمجرد أنه قرر أن يقلع من الظلمات إلى النور ومن الكفر إلى الإيمان ... وقد كان عليه أن يتحمل الإهانة والقطيعة ودخول المحاكم والضرب والإيذاء والسجن والاعتقال ... أو يرتد إلى الهندوسية !!

وقد رضى أن يدفع ثمن إيمانه حتى وإن كان ثمناً باهظاً كلفه الكثير ... لكن الجنَّة – على أية حال – تستحق هذا الثمن وأكثر ...

إن هذه القصة التى سطر فيها « كرشن لال » الذى أصبح (غازى أحمد) سطور رحلة إسلامه – صفعة على وجه الحضارة المادية وأتباعها الذين يتشدقون بالديمقراطية وبحرية العقيدة ، ويزعمون أنها حق لكل إنسان ، مع أنها فى الحق أكذوبة يريدون بها اختراق الجبهة الإسلامية فحسب ، وإنهم ليقيمون الدنيا ولا يقعدونها عندما يؤمن إنسان بالإسلام بعد دراسة واقتناع ... وانظر إلى الحرب الضروس التى شنوها على الفيلسوف الكبير (رجاء جارودى) وكيف أغلقوا صحف حضارتهم فى وجهه بعد أن كانوا يلهثون وراءه ويدفعون له أعلى الأجور أيام كان نصرانياً أو ماركسيًّا ... لكن بعد إسلامه أصبح هو الذى

يدفع ثمن الحيّز الذى يكتب فيه فى أية جريدة أو مجلة (!!) .

وقصتنا اليوم نموذج لهذا الاضطهاد العنصرى للإسلام ... إنه ذلك الاضطهاد الذى يسرى فى جسم جميع الأديان والنحل تجاه الإسلام وحده ، وحتى الهندوس الذين يعبدون آلاف الأوثان والحيوانات ويقولون إن كل شيء تخيلته إلهًا فهو إله ... حتى هؤلاء يقتلهم الحقد الأعمى عندما يؤمن هندوسى منهم بالله الواحد الأحد الذى لا شريك له ، ويعلنون عليه حرباً شرسة تخلو من كل الحقوق الإنسانية .

* * *

لقد عشت مع هذه القصة – وأنا أراجعها – ساعات من أطيب ساعات العمر ... وقد شدتنى بصراعها المرير بين (كرشن لال) الذى هداه الله للإسلام ، وبين أسرته ، وقريته ، وقضاة المحاكم الذين تواطئوا على الظلم وتجاهل حقوق الإنسان ليحولوا دون بقاء الفتى (كرشن لال) فى الصف الإسلامى . وقد انتهت القصة بانتصار الإيمان بعد صمود رائع من بطلها (كرشن) الذى لازال والحمد لله حيًّا بيننا يعيش فى باكستان بعد حادثة التقسيم ، وقد أصبح اسمه غازى أحمد !!

ويسرنى أن أحيط القارئ الكريم علماً بأن مترجم هذا الكتاب كاتب إسلامى هندى (شاب) يشرف على تحرير جريدة الداعى التى تصدر باللغة العربية ، وهو يتمتع ببيان مشرق عذب رائع يذكرنا بالنفحات الهندية العظيمة التى تصلنا عبر الحدود من خلال أقلام عظماء كبار على رأسهم – فى العصر الحديث – الشيخ ولى الله الدهلوى ، والشيخ عبد الحى الحسنى ، ومولانا أبو الحسن الندوى ، وفقيد الكلمة المؤمنة صديقنا وحبيبنا منشئ البعث الإسلامى (محمد الحسنى) رحمه الله ...

إنه الأخ والصديق الواعد (نور عالم خليل الأمينى) الذى يكتب أيضا باسم (أبى أسامة نور) ... أعانه الله وأمده بالصحة وأطال عمره ... ويسرنى أن أزف إلى قراء العربية بشرى تعاقد دار الصحوة معه على نشر كل إنتاجه فى العالم

العربى تحقيقاً للتواصل الحضارى والفكرى بين المسلمين ... والله من وراء القصد .

القاهرة الإسلامية المحرم ١٤٠٨ هـ

د . عبد الحليم عويس

بين يدى
هذه القصة من قصص الإيمان

فى قرية من قرى مديرية « جهلم » فى منطقة « بنجاب » الباكستانية فى الوقت الحاضر ، اسمها « ميانى » "MEYANI" ولد وليد في بيت الهندوكي « بهيم سين » وكان البيت ثريا يتمتع بمكانة محترمة في القرية والمنطقة المجاورة – وأسماه والده « كرشن لال » ولما بلغ سن القراءة والكتابة أخذه بتعليم مبادىء القراءة في قريته ، وكان « بهيم سين » يشغل وظيفة من الوظائف الحكومية الموقرة في ولاية « كشمير » وكان الوليد أكبر أولاد أبيه ، فكان موضع أمانيه وأحلامه في المستقبل ، وكان موضع عنايته ورعايته أكثر من أي شقيق أو شقيقة له ..

ولما اجتاز امتحان المدرسة الابتدائية الحكومية في قريته انتسب إلى المدرسة المتوسطة الحكومية ببلدة « بوجهال كلان » "BOCHHAL KALAN" الواقعة على مسافة نحو ميلين من قريته ، وكان يختلف إلى البلدة مع رفقاء دراسته ، الذين فيهم المسلم والهندوكي وغيرهم ، وكان الرفقاء الأطفال على عادتهم وهم يقطعون الطريق فيما بين « ميانى » و « بوجهال كلان » ذهابا وإيابا يتلاعبون ، ويتشاغلون بأنواع شتى من ألعاب التسلية ويتجاذبون حينا أطراف الحديث ، و قد يثير حديث ما الفضول عندهم ، فيولونه اهتماما أكثر ووقتا أطول .

ومن الحديث الذي شغلهم في فترة من هذه الفترات التي عاشوها فى حرية الصبا وانطلاقه وهدوء الطفولة وراحتها في هذه الطريق الواصلة بين القرية والبلدة ... هو الحديث الذي دار بينهم مرة في الطريق ، فظل يدور بينهم كثيرا ،

حتى وصل بهم إلى منعطف حساس جديد في طريق حياة أحد منهم أراد الله به خيرا ...

كان هذا الحديث عن الديانة ، أيّ ديانة خير من الأخرى ؟

وكان كل من الأطفال يدلل على أن الديانة التي ينتمي إليها هى الأفضل حسبما تهديهم إليه عقولهم الصغيرة من الدلائل ، فكان الهندوسيّ منهم يقول : إن ديانته هي الخير لأنها تمتاز بكذا وكذا من الصفات والمزيا ، وكان المسلم منهم يفند هذه الدلائل كلها ، ويأتي بدلائل أحقية الإسلام وأفضليته ..

وكان « كرشن لال » من بين الصغار الهندوس أكثر شغفا بالمساهمة في الحديث الذي شغلهم منذ أيام حول الديانات أيها خير ، ومن هذه المحادثة الدينية التي دارت بين الصغار طويلا واستغرقت كثيرا من أوقات فراغهم الحلوة التي كانوا يقطعونها في تلك الطريق الممتدة علي ميلين كل يوم ، خرج « كرشن لال » بنتيجة أنه لابد من أن يدرس في جدّية الديانتين الإسلام والهندوكية ، ليتوصل إلى أحقية إحداهما دون الأخرى ، حتى يختار منهما تلك التي توصله حقا إلى الله ، ويتفادى تلك التي تجعل الإنسان يدور في حلقة مفرغة ، ولم تكن أمنية « كرشـــن لال » نابعة من فراغ وإنما كانت نابعة من الإخلاص ومن صدق النية الذى دائما يسعف الإنسان ويأخذ بيده ...

وقد جعل « كرشن لال » يدعو الله على طريقة ديانته ، ويسأله في إلحاح وتضرع أن يهديه إلى الدين الحق . وخلال هذه الأيام التي عاشها في البحث والاستطلاع ، صحبه أحد زملائه المسلمين في الدراسة إلى العالم الديني العامل الشيخ عبد الرؤوف (من ساكني قرية « بوجهال كلان ») الذي اطلع علي القلق الديني الذي كان يعيشه ، وعلي نزعته إلى اتباع دين حق يوصله حقيقة إلى الله ، فأشار عليه في حنان المسلم وحكمته ، أن يلتزم بأن يدعو الله كل ليلة قبيل النوم في صدق وإخلاص قلب أن يهديه إلى الطريق الحق ، ويدخله في رحمته .. وأكد له أن المرء إذا سأل الله الهداية بهذا الإخلاص ، وفوض أمره إليه وأسلم نفسه له فانه يهديه باليقين ولا يضيعه أبدا .

وراح « كرشن لال » يجرب هذه الوصفة ، واستمر على ذلك أسابيع طويلة في صبر الناشد للحق ، واستقامة الطالب الصادق ، الذي حالفه التوفيق الإلهي ، حتى رأى ذات ليلة في المنام رؤيا غيرت مجرى حياته تماما ، رأى أنه ذهب ليحج مع زميله التلميذ المسلم « محمد صادق » وتشرف في المدينة المنورة بزيارة رسول الله ﷺ وأسلم على يديه .

وهذه الرؤيا زادت من نزوعه للإسلام ، غير أنه لم يبتّ في القضية ، وما لبث أن رأى النبي ﷺ في المنام مرة أخرى وهذه الرؤية الثانية جعلته يقف موقفا قاطعا من الإسلام ، ويقرر أن يعتنقه دونما تأخير إذ قد يوجد حواجز دون هذا العمل السعيد ، وكان لا يجاوز يومئذ الرابعة عشرة من عمره ، وكان يتعلم في السنة الثامنة في مدرسة متوسطة ...

فى هذه السن المبكرة التي يكون فيها الغلام غض الإهاب ، ناعم الأظفار ، ريّان الشباب ، لا يستطيع أن يرى رأيا ناضجا ، أو يقرر قرارا عظيما في حياته ، أو يصدر في حكمه على الأشياء عن ثقوب فكر وعزيمة ، أقدم هذا الغلام هذا الإقدام الذي لم يكن طريقه القادم – حتى في تقديره هو – مفروشا بالورود والرياحين وإنما كان مفروشا بالأشواك ، والشدائد والآلام .. ولكن ما ظنك بمن أراد الله به خيرا ، والله لا يخص بخير شيخا دون كهل ، أو كهلا دون شاب . أو شابا دون غلام ، أو غلاما دون طفل .

كان « كرشن لال » – كما أسلفت – أكبر أولاد أبيه ، وكان له ثلاثة أشقاء صغار ، وكان الأحب لوالده كونه أكبرهم ، وكونه موضع أحلام الأب وأمانى الأم ، كان يحب أبويه حبا لا يرزقه إلا الأولاد البررة ، ويحب أشقاءه حبا لا يحبه الشقيق في عامة الأحوال ، بيد أنه اعتنق الإسلام وهو على وعى كامل بجميع الظروف التي سيؤدى إليها حادث إسلامه ، من مفارقة الأبوين والأشقاء ، ومن التشرد والغربة ، ومن عداء سيناصبه له أبوه ، ومن إجراءات شرعية و غير شرعية يتخذها ضده ، ومن جميع الشدائد والمحن التي اجتازها فيما بعد ، ولكنه أعدَّ نفسه لذلك كله ، وروضها على أن يتحمل جميع البلايا في رضا المؤمن الحق ، وطواعية العبد الصادق ، وسرور المسلم الذي يعرف عظمة الإسلام .

في ٤ مارس ١٩٣٨ م (يوم الجمعة المبارك) ، قرر أن يذهب إلى « بوجهال كلان » ويعتنق الإسلام بصورة علنية ، وبدأ يستعد لذلك من الصباح الباكر ، وبما أنه كان يعلم أنه لن يستطيع أن يدخل بيته بعد إعلان إسلامه ، وأن إسلامه سيؤدى إلى مفارقة الأهل والأبوين والأخوة والأقارب ، ولهذا نظر إلى أمه وأخوته وكل أرجاء البيت : سقفه وجدرانه وزواياه ومرافقه ، وفنائه وأروقته ، نظرة عمق وسعة وشمول ، نظرة مفارق للأبد .

ثم قوى من إرادته ، وضبط عزيمته ، وسيطر على المشاعر الرقيقة التي كانت تريد أن تطفح على تعبيرات وجهه وأساريره .

وخرج من البيت خروجه للذهاب إلى المدرسة كل يوم ، ولكنه في الواقع كان خروجا من كل ماضيه بكل ذكرياته إلى آفاق المستقبل الرحبة التي لا تحده الحدود ، وكان خروجا من فكر ضيق محدود إلى فكر كله سعة ، وخروجا من منهج حياة دون ضوابط والتزامات إلى منهج حياة كله التزامات وضوابط ، وخروجا من عقيدة لا تزيد عن كونها مجموعة من التفاهات والخرافات والأساطير إلى عقيدة كلها حقائق ، وعلم ويقين .. كان خروجا من جميع الطرز الدينية التي عاشها لحد الآن ليودعها إلى الأبد على عتبة حياة جديدة ذات طراز جديد ، فكأنه قد ولد يومئذ ولادة جديدة .

ووصل إلى منزل الشيخ عبد الرؤوف قبل أن يصل إلى المدرسة ، واستعد ليصلى الجمعة معه في جامع البلدة ، ووصل إلى الجامع وأشهر إسلامه أمام جموع المسلمين المحتشدة لأداء الجمعة ، وصلى معهم الجمعة التي كانت أولى صلواته في عمره ، وكانت فاتحة يوم جديد في حياته الجديدة في شكلها ومعناها ، والجديدة في نظرته لها وللكون ، والجديدة في الشعائر والمشاعر ، والجديدة في العقيدة والالتزامات والمسئوليات .. وسمى نفسه بـ « غازى أحمد » .

لقد كان غازي أحمد حاليا ، و « كرشن لال » سابقا - كما ألمعنا - من بيت ثري ، وكان بعض أقاربه يشغلون مناصب حكومية كبيرة ، فاستخدموا نفوذهم وثروتهم ليعيدوا « غازي أحمد » « كرشن لال » من جديد إلى الهندوسية وأعملوا جميع حيل الترغيب والترهيب ليردوه إلى دينه الأول مرة ثانية ، وأجروا

لذلك محاكمات عريضة ، وفي إحدى المحاكمات استطاع والده أن يشتري ضمير القاضي في أكبر المحاكم في المديرية بنقود قدمها إليه رشوة ليحكم في القضية لصالحه ، وليرغم « غازي أحمد » أن يصحب والده لمدة كذا لأنه لم يبلغ بعد ، على حين أنه كان بالغا كما كان قد أثبته الفحص الطبي .. وعلى كل فقد أخذه أبوه معه إلى كشمير مرغما ، ولكنه لم يستطع أن يشتري ضمير التاريخ ويعيده إلى الوراء ، ويحوله حلما بعد أن صار حقيقة ، فلم يستطع أن يساوم الضمير المسلم في جسد (غازي أحمد) بكل ما أمكنه من وسائل الترغيب والإثارة والإغراء .

ولما رأى من ابنه أنه صخرة لا تلين أراد – بدون جدوى – أن يكسرها بيد المكر والبطش ، وهذا من طبيعة الباطل مع الحق ، والسلبية مع الإيجابية ، في كل أدوار التاريخ الإنساني ، فما إن أبدى غازى أحمد رغبته الأكيدة في ثباته على المنهج الذي قرره لحياته ، وهو المنهج الذى صدر عن تفكير جاد عميق ، حتى وقف منه والده موقف الجلاد القاسي الذي لا يعرف اللين والرأفة ، وصب عليه من الأذى والعقاب الجسماني المؤلم الذي يذكر بقصة الرعيل الأول وما لاقاه من العذاب والمعاناة فى سبيل إسلامه .

ولا يمكن أن يقرأ القارىء الكريم هذا الفصل من قصة « غازي أحمد » وكثيرا من فصولها الأخرى ، دون أن تستعبر عيناه وتذرف الدمع ... إلا أن هذا الأب لم يستطع أن يضعف من إسلام هذا الغلام ، أو يزلزل شيئا من عقيدته ، فقد ثبت على دينه الجديد الحق ثبوت الجبل ، وظل يخطط للتخلص من مخالب أبيه في كشمير كى يرحل إلى « بوجهال كلان » .

راح يتضرع إلى الله أن يهيىء له وسيلة لذلك ، فخرج حسب خطته يوما من « كشمير » في خفاء إلى « بوجهال كلان » وقد لاقى في طريقه إليها متاعب قاسية وشدائد لا يجتازها في سبيل الدين والعقيدة في هذه السن المبكرة إلا الذي كان رائده وهاديه التوفيق الإلهي .. ولكن هذا الوصول إلى « بوجهال كلان » كان وصولا إلى شاطىء الأمن والراحة ، هدأت بعده حركة الكفر ضده ، خف صراخ الباطل وضجيجه في وجهه ، وانتهت للأبد محاولة هجوم الظلال على نور إيمانه وعقيدته .

ووصل الشاب غازى إلى « بوجهال » ليصل ما انقطع في فترة الامتحان الإيماني من نشاطاته الدينية والتعليمية ، فاجتاز امتحان المدرسة الثانوية بالدرجة الأولى (بدرجة جيد جيدا) ثم غير خط تعليمه ، حيث قرر أن يتلقى العلوم الدينية ، فأتم تحصيلها حسب المنهج الدراسي المتبع في المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية ، وخلال مدة تحصيله أمضى وقتا في الجامعة الإسلامية دار العلوم – ديوبند – وهي أم المدارس والجامعات الإسلامية المعاصرة في شبه القارة الهندية !!

وخلال أيام تحصيله ومكثه في « بوجهال كلان » بدأ يختلف إلى أمه الحنون ويدعوها في حكمة إلى الإسلام ، ولكن لم تقبل دين ابنها فإنها تأثرت به كثيرا ورضيت عنه وعن ابنها بدرجة كبيرة .

ثم اجتاز امتحان البكالوريوس ، وحاز شهادة الماجستير ، وشغل لمدة طويلة منصب عميد الكلية الحكومية في « بوجهال كلان » .

وقد فتح الله عز وجل عليه بركات في الدين والدنيا ، وأغدق عليه النعم من كل جانب ، وتحدث « غازي أحمد » عن ذلك كله في كتابه الذي يقع في أكثر من ١٥٠ صفحة بالقطع الكبير والذي ألفه في نحو الستين من عمره ، بعد قصة إسلامه بأربعين سنة .

يقرأ القارىء العربي هذه القصة التي قرأناها في الأردية غير مرة ، في لذة لا تقل في كل منها عن لذة المرة السابقة ، وكلما بدأنا قراءتها لم ندعها دون أن ننتهي من قراءتها لآخر سطر ، لأن فيها لذة الروح والقلب ..

وإني لآمل من القراء الكرام أن لا ينسونا من صالح دعواتهم .

نور عالم خليل الأميني
رئيس تحرير جريدة « الداعى »
وأستاذ الأدب العربي في
الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

تحريرا فى ١٤٠٧/٧/٣٠ هـ

موقع قريتـــي :

يجد المسافر من « راولبندي » إلى سرغودها » في طريقه مرتفعا يسمى « منطقة ونهار » يقع على آخر حدود مديرية « جلهم » في محافظة « بند دادنخان » وارتفاعه ٢٧٦٠ قدما .. ويكون طقسه معتدلا ولطيفا في فصل الصيف .

وكان الهندوس يوجدون في كل قرية من قرى منطقة ونهار فيما قبل قيام باكستان ، ورغم أنهم كانوا يشكلون أقلية بالقياس إلى المسلمين ولكنهم كانوا يفوقونهم اقتصاديا ، وكانوا يسيطرون على التجارة والثروة ، فكان المسلمون يقترضون لتحقيق ضروراتهم من المرابين الهندوس ويتورطون في سلسلة من قروض الربا لا تنتهي عبر حياتهم ، وكان الشباب المسلم يتوجه إلى الجندية بعد تلقي التعليم .

وكانت منطقة « ونهار » تشتمل على ٢٧ قرية ، وكانت «بوجهال كلان » تفوقها جميعا في عدد السكان والتجارة والتعليم ، وعلى مسافة ميلين في الجانب الشمالي منها تقع قرية صغيرة اسمها « مياني » وتلك هي قرية كاتب هذه السطور .. وكانت تشتمل على نحو مائة بيت ، وكان الهندوس يشكلون فيها ربع السكان ، وكان فيها ثلاثة أو أربعة دكاكين توفر حوائج الناس .

عائلـــتي :

وكان من وجهاء القرية واحد من الهندوس اسمه « لاله جوالا سهائي » وكان أشقاؤه الثلاثة : « متوال جند » و « ديوان جند » و « غوبي جند » يحتلون مكانة مرموقة بين أفراد أسرتهم ، وكانوا يملكون أراضي ومزارع واسعة .. وكان هناك ثلاثة أبناء لـ « لاله جوالا سهائي » – جدي من الأب – وهم : « لاله كورا ندته » و « لاله بهيم سين » و « لاله رام سرن » على قيد الحياة ، وكانوا

يشغلون مناصب شتى ، ويعيشون حياة ناعمة ذات رفاهية .. وكان « لاله بهيم سين سبهروال » – والد كاتب هذه السطور – يشغل منصبا هاما في إحدى الشركات ، وكان نزيلا في إحدى قرى كشمير المعروفة بـ « بهدرواه» وكان أثرى أبناء أسرته ، ولهذا كان بيته أكثر بيوت أسرته رفاهية وثراء .

الحكاية الأولى عن ولادتي :

قصت علي والدتي أنها أنجبت بعد الزواج أربعة أولاد ، ماتوا جميعا في الصغر ، وتقول والدتي : لقد اتخذتُ تدابير كثيرة من أجل الحفاظ على حياة الأولاد ، وراجعت الأطباء ، ولكن دونما جدوى .. وقال لي أحد النساك الهندوس : اذهبي إلى المعبد الهندوكي الواقع على مرتفعات « كرانه » لدى « سرغودها » واعبدي فيه ، وأدي الطقوس والنذور ، وفيه ناسك متقرب إلى الاله فاطلبي منه الدعاء .

فزرت أنا وزوجي المعبد المذكور ، وسجدنا للآلهة والأصنام ، ودعوناهم أن يمنحونا ولدا ذكرا يعيش لطول العمر .. وقلت لسادن المعبد إننا سنقدم للمعبد ألف روبية إذا ولد لى ولد ذكر .

وفي يونيو ١٩٢٤ م ولدت ذكرا ، وغمرت الفرحة جميع العائلة ، ووزعنا روبيات كثيرة على الفقراء والمحتاجين حتى يعيش ولدي طويلا وبأمر من أحد النساك سميته بـ « كرشن لال » – وهو الاسم السابق لكاتب هذه السطور – حتى ينال عمر سيدي « كرشن » – الذي كان أحد مظاهر الاله في وقته – ويسير على هداه في الحياة .

وكانت هذه هي الحكاية الأولى لولادتي ، كما كانت تقصّها عليّ الوالدة ، غير أن الوالدة كانت لا تعرف أن الذي يعطي الولد ويمنعه إنما هو خالق الأرض والسماء ، وهو الحي القيوم المحيي المميت ، وأنه هو المتصرف وحده في هذا الكون ، والكون وما فيه محتاج إليه ..

الحكاية الثانية عن ولادتي :

ذكر لى أحد المسنين في قرية « مياني » وهو « ملك سلطان مبارز بن ملك زمان شاه » أنه بعد أن أحيل إلى المعاش من وظيفته العسكرية عام ١٩٢٤ م ، ورجع إلى وطنه ، زار بيته السيد « الشيخ محمد حسين شاه الهمداني » من سكان « سنديانه » بمديرية « جهنك » – وكان صالحا تقيا فيه فراسة المؤمن – وكنت أنا وشقيقتي جالسين في مجلسه ، إذ مرت بنا والدتك وهي فى طريقها إلى منزل « لاله كانشي رام » ووقع عليها نظر الشيخ فسألني : من هذه المرأة ؟ فقالت أختي أنها امرأة هندوكية وهي زوج ابن « لاله جوالا سهائي » من وجهاء القرية .

قال الشيخ : إن الجنين الذي في بطنها يقرأ « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .. وبقينا مدهوشين .. نقول : كيف يمكن أن يقرأ جنين في بطن امرأة في بيت هندوكي متزمت « لا إله إلا الله » ..

وأضاف ملك سلطان قائلا : وأنا أذكر جيدا أنك ولدت عام ١٩٢٤ م وسميت بـ « كرشن لال » وبعد أيام من ولادتك ذهبت مع أختي إلى بيتك ، وقلت لها : أحضري الولد لأراه .. فظللت أنظر إليك طويلا فى فحص وتمعين بينما كانت مقالة الشيخ تدور في ذاكرتي .

وخلال الأعوام الأربعة عشر التالية ضاع مقال الشيخ من ذاكرتي ، ولكنك لما دخلت في الإسلام وأعلنت ذلك في عام ١٩٣٨ م ، أسرعت أختي إلى بيتي ، وقالت : انظر كيف صدق مقال الشيخ حيث أسلم اليوم « كرشن لال » ..

ولا يزال ملك سلطان مبارز على قيد الحياة ، وهو في الثمانين من عمره .

أخوتـي :

وقد أنجب والداى بعد ولادتي ثلاثة أشقاء : « موهن لعل » و « أرجن داس » و « بريم داس » وكلهم الآن من سكان الهند ، وكنت موضع عناية

الأسرة كلها حيث كنت أكبر أولاد أبي ، وكان والداي يحققان لي كل أمنية ، وكان أبي يحضر لي كل عام عند ما يرجع من وظيفته إلى البيت كثيرا من أسباب الترفيه واللعب ، فكنت أعيش طفولتي في رفاهية ونعومة وبذخ .

الالتحاق بمدرسة مياني :

ولما بلغت الخامسة من عمري ألحقوني بالمدرسة الابتدائية بقرية « مياني » وذهبت بي جدتي إلى المدرسة ، وقد سجلت تاريخ ولادتي في المدرسة ١ يونيو ١٩٢٢ م ، بدل ١ يونيو ١٩٢٤ م .. وقد أثبتت ظروف حياتي أن هذا التغيير قد أفادني جدا .

في المدرسة المتوسطة بـ « بوجهال كلان » :

والتحقت بالمدرسة المتوسطة « ببوجهال كلان » في الصف الثالث وكان عدد الطلاب الغادين والرائحين إلى بوجهال من سكان مياني ما بين ٢٠ و٢٢ طالبا ، وكنا أربعة من الهندوس ، والباقون كانوا مسلمين ، غير أننا كانت تربط بيننا آصرة من الود والوئام قوية للغاية ، فكنا نذهب إلى المدرسة مجتمعين ونرجع مجتمعين .

زيارة المعبد الهندوسي :

وفي عام ١٩٣٥ م اجتزت امتحان السنة الخامسة ، وجاء والدي في الإجازة إلى البيت ، فقال للوالدة : الآن يجب أن نزور معبد « كرانه » لنفى بنذورنا ، فذهبا بي إلى المعبد .. وأذكر أنه كان في المعبد أصنام كثيرة من الحجارة السوداء ، وخضعا أمام جميع الأصنام فى احترام وتقديس ، وظللت واقفا بجانبهم أنظر ما يصنعان .. وبعدأن أديا هذه الطقوس ، حضرا أمام سادن المعبد ، وخضعا لديه ، وأديا إليه ألف روبية وفاء بنذرهما . وسرّ الناسك ، ومسح بيديه رأسي ، ودعا لي بطول العمر .. وقال لهما : إن ابنكم هذا – إن شاء الاله – سيعيش طويلا وسينال مكانة محترمة .

معتقدات الوالدين :

كان والدى – مثل بقية الهندوس الآخرين في القرية – ملتزمين بعقائد

الديانة الهندوكية المعروفة بـ « سناتن » التي تحتل فيها عبادة الأصنام والأوثان وعبادة الشخصيات المكانة الأولى الأساسية ..

وكان في القرية معبد واحد ، يزوره أهل بيتي مرة أو مرتين في الأسبوع ، وما كانت فيه أصنام » ، وإنما كان فيه كتاب من الكتب الدينية موضوعا على سرير من الخشب فيه زينة ظاهرة .. وما كان في القرية إلا رجل وامرأة يقدران على قراءة هذا الكتاب المقدس ، فكانا يقرآنه وكل القرية كانت تحضر عن بكرة أبيها في غرة كل شهر إلى المعبد تسمع قراءة الكتاب المقدس .. وكانت توزع الحلوى بعد الانتهاء من القراءة .. وكنا نحن الصغار نحضر إلى المعبد في ذلك اليوم من أجل الحلوى هذه .

وكان هندوس القرية لا ينزعون إلى التعليم الديني إلا قليلا ، وكانوا يرون الاكتفاء بالحضور إلى المعبد لأداء الطقوس المعدودة .. وكانت تلك هي حالة والديّ ، فكانا لا يتجاوزان أداء طقوس عديدة فيما يتعلق بالدين ..

لقد كان الهندوس فى الحقيقة منصرفين إلى الشئون الدنيوية والمادية .

الحديث مع الأطفال المسلمين فيما يتعلق بالدين :

وأذكر أنني لما كنت طالبا في السنة السابعة عام ١٩٣٧ م ، كنت أكثر من الحديث عن قضايا الدين مع الأطفال المسلمين ذهابا وإيابا من المدرسة ، فكنت أقول لهم : لو كان المسلمون على الحق ، لما كانوا في هذا المستوى من الفقر والبؤس ، ألا ترون الهندوس ما أثراهم وأغناهم .. فهذا يثبت أن الهندوكية هى الحق وأننا على الصراط المستقيم ..

فكان الطلاب المسلمون يجيبون : إن الثروة الدنيوية ليست معيارا للرضا الإلهي ، والواقع أنه لما خلق الله عز وجل الأرواح في الأزل طلبت إليه الأرواح المسلمة أن يكرمها بنعمة الإيمان ، بينما طلبت الأرواح الكافرة الثروة الدنيوية .

وكنت كلما أسمع هذا الجواب وأمثاله ، كان يحدث في قلبي عن قصد ، نوع من الشعور بالحرمان ، وكنت أقول لنفسي في نفسي : من يدري فلربما كنا نحن الهندوس أثرياء موسعاً علينا في الرزق لأننا كنا طلبنا ذلك في الأزل ولم نطلب

الإيمان .. وكانت تحدثني نفسي أن ألتمس من ربي الإيمان بجانب الثروة والمال .

دراسة أول كتاب في الإسلام :

وقد أعطاني ذات مرة أحد زملائي المسلمين في الدراسة كتاب « تحفة الهند » لمؤلفه « عبيد الله الماليروكوتلوي » الذي كان هندوسيا ، فأكرمه الله عز وتبارك بالإسلام .. وكان الكتاب يتحدث عن الإسلام والهندوسية وديانة السيخ ، ورغم أنني كنت صغير السن غير ناضج التفكير ، إلا أن دراسته أثارت في نفسي حركة واضطرابا ، وأحدثت فيّ نزوعاً إلى الدين ... فجعلت أقوم بالمراقبة والمجاهدة صباح مساء وبانتظام حسب الديانة الهندوكية ، وكنت أقرأ بعض الأذكار الهندوسية الدينية كل ليلة قبل النوم على سبحة أمي .. وكانت أمي دهشةً من هذه النزعة الدينية المتزايدة لديّ .. وخلال ذلك وجدت كتبا سهلة ميسورة الفهم في الإسلام ، وكان يوفرها لى أحد زملائي المسلمين في الدراسة « ريشم خان » ودراستها وفرت لي معلومات ابتدائية عن الإسلام ، فكنت كلما أذاكر الطلاب المسلمين المسائل الإسلامية ونحن في الطريق إلى المدرسة ، كان يأخذهم العجب والدهشة .

ليلة القـــدر :

وذات يوم كنت راجعا من المدرسة إلى البيت ، فقال لي الطلاب المسلمون : إننا اليوم نسهر الليلة كلها ندعو الله عز وجل .. وفي هذه الليلة ينزل النور الإلهي إلى الأرض فيضيء كل شيء في الكون ، وكل دعاء فيها يحظى بشرف القبول والإجابة وهنالك عزمت – قبل أن أصل إلى البيت – أنني كذلك أحيي الليلة كلها بالدعاء والذكر ، وألتمس من ربي الإيمان ، وفي ليلة القدر في العام المقبل ألتمس منه الثروة والمال .

في المساء قلت لوالدتي : أمي ! أريد اليوم أن أنام في فناء البيت ، فافرشي لي فيه ، فسألتني عن السبب في ذلك .. قلت : اليوم ليلة القدر ، وأريد أن أسهر فيها ، وإذا ما رأيت النور الذي تخضع له الأشجار ، أدعو ربي .. ولا يغيبن عن البال أنه قد اشتهر فى قرانا أن ليلة القدر يظهر فيها النور وتخضع فيها الأشجار ،

ولا يوجد لذلك ذكر في الكتاب والسنة ، وإنما الذي جاء فيهما هو نزول الرحمة الإلهية ، قالت لى والدتى : إنها ليلة المسلمين ، فماذا تصنع بالسهر فيها ؟ .. قلت فلا ضير علينا إذا كان ربنا ورب المسلمين واحدا .. وعلى إلحاح مني هيأت لي فراشي في الفناء .. ولما نامت أمي وإخوتي ، نهضت وتوجهت إلى الغرب ملتحفا على السرير ، وجعلت أنتظر ظهور النور ، واختصرت الأماني كلها في قلبي الصغير في أمنية واحدة ، وهي أنني ما إن أرى ظهور النور وخضوع الأشجار في فناء البيت ، إلا وأسرع بالدعاء إلى ربي أن يكرمني بنعمة الإيمان .. حتى لا يقول زملائي المسلمون أننى محروم من الإيمان .. وكنت على إيمان كامل بأن دعاء هذه الليلة لا يرد .. وعزمت على أن أسأل ربي السعة في الرزق في ليلة القدر الآتية ، حتى أسبق المسلمين والهندوس معا .

وما تمكنت من السهر إلا إلى منتصف الليل ، ثم غلبني النوم وأنا جالس على السرير .. وفي الصباح أيقظتني والدتي قائلة : لئن كنت نائما ، فقد كان أولى بك أن تنام في داخل البيت في راحة .. وخفضت رأسي لمقالها حياء .. وآلمنى جدا أن ضيعت الفرصة الذهبية التي سنحت لي للدعاء .

بركة ليلة القـــدر :

وما أعظم رحمة الله ! إن مولاي الكريم قد تقبل عواطفي البريئة وحقق أماني في الإيمان ، فقد أضيء قلبي بالإيمان قبل أن تحين ليلة القدر في العام القادم .. ورغم أنه لم تجد شفتاي كلمات الدعاء التي تدعوان بها للإيمان ، لكن العليم بذات الصدور قدّر عواطفي ومشاعري نحو الإيمان وحرصي على الإسلام .

اللقاء مع الشيخ عبد الرؤوف :

وقصصت جميع ما حدث لي في الليل على زميلي « ريشم خان » في الصباح ونحن ذاهبان إلى المدرسة ، فقال : إنه يسكن بجوار مدرستنا فى « بوجهال كلان » شيخ صالح ، وسأذهب بك إليه في يوم من الأيام .. قلت : أنا حاضر إذا لم يعلم أهل بيتي .. على كل فقد حضرنا بعد أيام إلى الشيخ عبد الرؤوف وعرفني « ريشم خان » إليه بأن اسمه « كرشن لال » وهو جار لي ، وهو يقرأ في الكتب الإسلامية ، وسهر ليلة القدر .. وسألني الشيخ عن الدين أمورا عديدة ، فأجبت

عليها لحد معلوماتي .. وقلت له : إننى أعبد ربي صباح ومساء ، وأقرأ على السبحة بعض الأذكار نحو عشر مرات .

وسر الشيخ بما سمع مني ، وقال قد سرتني نزعاتك الدينية ، ولن أقول لك : أترك ديانتك وادخل الإسلام ، غير أنني أقول لك شيئا ناصحا لك ، إذا عملت به فستجني به فوائد .. قلت : هات ، فسأحاول أن أعمل به فى حدود طاقتى !!

دعاء طلب الهداية :

قال : إن آله المسلمين والهندوس واحد ، إننا ندعوه « الله » وتقولون « بهكوان » أو « براماتما » وهو خالقهم وربهم جميعا ، وهو الذي يقبل دعاء الجميع ، وهو الذي يرحم الناس جميعا ، وهو الذي يرزق جميع الحيوانات ، وهو المولى الرحيم الكريم ، فإذا دعاه العبد وقت النوم فى الليل مع الإخلاص والإنابة التامة، قائلا : يارب العالمين ! إنى إنسان لا ولي ولا ناصر له ، قليل الفهم ، لا أقدر على أن أدرك ما هو الطريق المستقيم ، فإذا كشفت لى بمنك العظيم ولطفك العميم الصراط المستقيم فإنى سأتخذه وأسير عليه بالتأكيد .. مولاي ! إني أفوض نفسي إليك .

إذا دعاه العبد بهذا التضرع والتذلل والإنابة فإنه يستجيب الدعاء ويكشف الغمة .

وأضاف : يابني ! إذا لازمت هذا الدعاء فإن الله عز وجل سيهديك الصراط المستقيم ، وهنالك يتوجب عليك أن تتبعه ، وقد قال مشائخنا : إن المرء إذا فوض نفسه إلى ربه فإنه لا يضيعه ، لأنه ليس من سنته أن يحرم عبده .. وهذا الدعاء الذي أشرت به عليك لا يحمل في طيه اتهاما لديانة ، ولا يلوح بها .. ابني ! لئن كشف الله لك الهداية إلى الهندوكية فأثبت عليها ، ولئن هداك إلى دين آخر فاتبعه . إن هذا الدعاء سيكون برهانا قاطعا على أحقية الدين الحق ، إن شاء الله .

ووقع اقتراح الشيخ عبد الرؤوف موقعاً كريماً من قلبي ، فقررت أن لا أنام في الليل إلا بعد أن أدعو بهذا الدعاء ، وسأتبع الدين الذي يرتضيه ربي لي ..

وقد قضينا عند الشيخ وقتا طويلا ، ثم استأذناه وانصرفنا ، وودعنا بحفاوة بالغة وطلاقة سارة .

ووصلنا إلى البيت متأخرين،فسألتني أمي عن سبب هذا التأخير . قلت : كنا قد جلسنا في الطريق نتم الواجب المدرسي ، فتأخرنا فاطمأنت .

بداية الدعـــاء :

وقبل أن أنام دعوت بالدعاء الذي علمني إياه الشيخ عبد الرؤوف .. وظللت أصنع ذلك نحو خمسة عشر يوما ، ولكني ما رأيته يحدث أثرا ، وتلك قصة شهر فبراير ١٩٣٨ م ، وكنت طالبا في السنة الثامنة وكان الامتحان السنوي قد حان .. ولكني لازمت الدعاء قبل النوم وبعد الانتهاء من الواجبات المدرسية .

وفي إحدى ليالي أواخر فبراير ١٩٣٨ م ، لما انتهيت من الواجبات المدرسية ، ونويت أن آخذ موضعي من الفراش ، توجهت إلى الله الكريم ، وقلت : « مولاى ! إني لا أرى نتيجة لدعائي ، ألست عبدك ؟ » إن الشعور بالحرمان وفوران العواطف قد أذابا قلبي ، ثم سقطت قطرات من دموعي ... وأغمضت عيني المستعبرتين ونمت ، وبعد منتصف الليل رأيت رؤيا :

رؤية النبي ﷺ في المنـــام :

رأيت أني أقول لأحد زملائي في الدراسة وهو (لال خان بن شير عالم) من سكان « مياني » تعال يا صديقي نذهب إلى مكة المكرمة ونحجّ معا ، وأسلم أنا في مكة المكرمة ، ورضي لال خان أن يصاحبنا إلى الحج وخرجنا من قرية « مياني » نسير متوجهين إلى مكة المكرمة .

وعلى مسافة ميل في الجانب الشمالي من قريتى تقع أبياروبساتين – وقد رأيت عندما اجتزناها ، ناسكا هندوسيا مقبلا علينا ليس عليه إلا خرقة صغيرة تستر عورته وهو ملطخ جسمه كله بالرماد . ولما وصل إلينا قال في لهجة ملؤها

العطف : عزيزي ! أين تذهبان ؟ قال لال خان : نحن ماضون إلى مكة المكرمة للحج . فابتسم وقال : أنا كذلك قاصد إليها وسأتمتع بصحبتكما إلى مكة المكرمة ، وأنا أعرف الطريق إليها كل المعرفة فأصل بكما إليها في حفظ وأمان .

وسررنا بمقال الناسك ، وقلنا قد وجدنا دليلا ومضينا في الطريق ، يتقدمنا الناسك ، ونحن نتبعه ، وبعد أن قطعنا مسافة ثلاثة أو أربعة أميال دخلنا غابة مظلمة مخوفة لا داعي فيها ولا مجيب ، وكان يصعب علينا المشي من أجل الأشجار الشائكة والأشواك المنتشرة ، ولما وصلنا إلى سطحها رأينا السباع الضواري من الأسد ، والضبع والحيات ، والعقارب ، مقبلة إلينا ، وفزعت أنا وصديقي من هذا المنظر المهيب ، وامتنعت أقدامنا عن الإقدام دونما قصد .

وقد لاحظ الناسك الهندوسي هذه الحالة على وجوهنا ، فقال يخاطبنا : اعلما أن وظيفتنا هي إضلال الناس ، وقد ضللت بكما إلى هذا الطريق الخاطئ ، إن هذا الطريق لا يؤدي إلى مكة . وقد أديت مسئوليتي . والأمر إليكما الآن .

وغاب عنا الناسك بعد أن أخرج هذه الكلمات ، وما وجدنا له أثرا ، وقد أجهدنا أنفسنا في البحث عنه ، ثم فررنا مخافة السباع إلى القرية ، ولما قربنا منها ، غربت الشمس ، وأرخى الليل سدوله من كل جانب .

وأخذ صديقي لال خان طريقه إلى بيته ، ووقفت أنا لدقائق خارج القرية ، وكانت ظلمة الليل قد غمرت كل شيء بسوادها ، وكان الحال كما قال عز وجل : « إذا أخرج يده لم يكد يراها » وخفت في هذه الظلمة الحالكة .. وما إن خطوت خطوة إلى البيت حتى وقف شيخ أمامي ، وتصببت عرقا من شدة الخوف وبينما أنا كذلك قال الشيخ : من أنت ؟ قلت : أنا كرشن لال ، وهناك عرفت بصوته أنه زميلي في الدراسة محمد صادق بن صوبيدار خان زمان من سكان « بوجهال كلان » ولما عاد اليّ رشدي وتجمعت قواي ، قلت : محمد صادق إلى أين خرجت في هذه الليلة الحالكة السواد ؟

أنا قاصد للحج ، أجابني محمد صادق : قلت أنا كذلك كنت أنوى الحج ، غير أني عدت لا أرى شيئا في هذه الظلمة الظلماء . فأريد أن أبدأ رحلتي

فى نور الصباح وما إن سمع كلامى هذا حتى لكمنى لكمة شديدة فى ظهري ، وقال : إن هذه الظلمة ليست بشيء في سبيل الإسلام !

وعزمت على المضي بعد ما سمعت منه هذا الكلام المشجع ، وما إن خطونا خطوات جهة الغرب حتى ظهر قمر ضخم في السماء ، كان أكبر من البدر خمس عشرة مرة ، وكان نوره شديدا جدا لدرجة أنه لم يعد على الأرض شيء اسمه الظلمة ، وكنا نرى الأرض لآلاف الأميال .. فبدأنا سفرنا في هذا النور الواضح القوي .

ورأيت في المنام كأنني وصلت بعد أشواط طويلة إلى مكة المكرمة ، ولما دخلت الحرم وجدت الكعبة المشرفة أمام عيني ، وحولها صحارى من الرمل ، ورأيت كثيرا من الصحابة رضي الله عنهم يجلسون متجهين إلى الكعبة المشرفة وعليهم ثياب بيض ، والنبي ﷺ جالس إليهم مسند ظهره إلى الكعبة ، وكان ﷺ يجلس لدى الجدار الذي يقع بين الحطيم والركن اليماني ، وعرفته من بعيد ، وبدأت أتبع محمد صادق ، وقلت في نفسي : إنه مسلم فلابد أن يتشرف هو أولا بلقائه ﷺ ، ثم أسعد أنا بلقائه ، وكنا نمر بين أيدي الصحابة رضى الله عنهم ، حتى انتهينا إليه ﷺ ، فمد محمد صادق يديه ليصافحه ، فصافحه ﷺ جالسا .

ثم تقدمت لأصافحه ، فقام وعانقني ، فجرت المسرات مني مجرى الروح ، وكدت أبكي من شدة الفرح ، ثم جلس في مجلسه ، وأجلسني بجنبه ، وقال : ما الذي أقدمك ؟ قلت أتيت إليك لأسلم . فأخذ بيدي اليمنى في يديه ، وبعد ما قرأ شيئا قال : أنت مسلم منذ الآن .

وسررت بقوله ﷺ سرورا لا يوصف ، لأنه هو الذي أكرمني بيده بالإسلام ، فما أعظم حظي وما أكبر سعادتي .. وقضيت في المنام وقتا لا بأس به في مكة المكرمة ، ثم عدت إلى وطنى .

ولما صحوت من النوم في الصباح ، كان منظر الرؤيا ماثلا أمام عينيّ ، وكان قلبي يكاد يطير فرحا من أجل مسرات مجهولة .. ثم أفطرت وأخذت حقيبة الكتب واتجهت إلى المدرسة ، وبعد العطلة ذهبت مع ريشم خان إلى الشيخ

عبد الرؤوف ، وقصصت عليه الرؤيا التي رأيتها في الليلة البارحة ، فلما سمعها تهلل وجهه بشرا ، قال : رأيت كيف أثمر الدعاء وكيف كشف الله لك الصراط المستقيم ؟ ولكن يجب أن لا تترك هذا الدعاء وأن تتابعه كالسابق .

ثم عدت إلى البيت ، وتناولت العشاء ، وقمت بواجباتي المدرسية ودعوت بالدعاء المذكور ، ونمت فإذا بي أرى في المنام وقت السحر :

رؤية النبي ﷺ في المنام مرة ثانية :

رأيت كأن جرس العطلة دق في المدرسة ، ونحن طلاب مياني متجهون منها إلى البيت ، وما إن قطعنا نصف المسافة ، حتى رأينا رجلا عملاقا مقبلا إلينا ، ليس على جسمه ثوب ، إلا خرقة على عورته ، وجسمه أسود في لون الغراب ، وعلى رأسه قرن طويل ، وكانت يداه طويلتين تبلغ ١٥ قدما ، ولك أن تقدر من ذلك طول باقي أعضاء جسمه ، ولما اقترب منا اقشعرت أبداننا من شدة الخوف .. فقلت لهم : أصدقائي ! دجال من علامات القيامة ، وقد حان وقتها .

والدجال يسألكم : أنتم عباد من ؟ فقولوا له : نحن عباد الله ... وبينما نحن كذلك إذ وصل إلينا ، واتجه أولا إلى أحد أصدقائي (غلام نبي) وقال : عبد من أنت ؟ فقال وهو يخاف : أنا عبد الله . فأخذ بيديه ورفعه في الهواء ، وألقاه على الأرض بقوة . فمات . ثم سأل هذا السؤال نفسه أحد الطلاب الهندوس اسمه « اندر سين كوهلي » فقال : أنا عبدك . فسر بذلك كثيرا ، وقدم إليه حلوى كثيرة ، وأذكر أن جميع الطلاب قبلوا عبوديته وتشاغلوا بتناول الحلوى . وجاءت نوبتي أخيرا ، فوجه إليّ نفس السؤال ، فقلت خائفا : أنا عبد الله فلطمني لطمة شديدة رمت بي على بعد نحو خمسة عشرة ذراعا . فقمت أبكي . فقال في لهجة الآمر الناهي : تعال ...

وبينما كنت أمشي إليه متباطئا ، إذ رأيت النبي ﷺ موجودا ، فقال : تعال إليّ . فحضرت إليه . وذكرت أنني رأيته ﷺ أمس لدى الكعبة المشرفة ، فكيف أتى إليّ في هذا المكان البعيد جدا ؟ .. ورأيته ﷺ الليلة في وضوح وعليه ملابس بيضاء وعلى رأسه رداء أبيض وعمامة بيضاء ، وكانت لحيته قدر جمع الكف ،

وكان معظمها أسود ، وبعضها أبيض ، وكانت ملابسه بسيطة ونقية للغاية ، وكان يقرأ شيئا وهو متجه إلى جهة الكعبة المشرفة ، وجلست إليه ، فقال : يابني انته عن البكاء لأني أتيت لنصرتك من بعد شاسع . وكان يمسح بيديه الكريمتين ظهري ، وقال : لا تؤمنن بما يقول الدجال ، ولن يؤذيك بعدئذ ، وإن لذة الدنيا لا تعدل شيئا من لذة الآخرة ، فلو ثبتّ في هذه المحنة لأُكرمتَ في الآخرة بنعم لا تعد . وأنا أدعو لك بالنجاح وأن لا تلقي خيبة أبدا إن شاء الله ، نصرك الله وأعانك .

وقد رأيت- ولا أزال - تأثير دعاء النبي ﷺ هذا ، جليا واضحا في حياتي ، فأحمد الله عز وجل أنه لم يقدر لي الإخفاق في أي شأن من شئون الحياة ، وكان الفوز حليفي في كل مرحلة في الحياة ، وظللت - ولا أزال - أعيش حياة العافية والطمأنينة من أجل دعاء النبي ﷺ لي .

وناداني الدجال مرة ثانية ، وأتيت إليه فرأيت الأطفال المستجيبين لدعوته يتناولون ألوانا من المأكولات اللذيذة الشهية ، ولما رأوني قالوا لي : لو آمنت بما يقول لنعمت كما ننعم .. قلت : زملائي ! إن هذه النعم الدنيوية زائلة بعد أيام ، وإني سأحظى بجوائز الله عز وجل في الجنة الخالدة الباقية حيث لا تجدون أمانا ولا سلاما .

ولما سمع الدجال منى هذه الكلمات اشتاط غضبا ، وحاول أن يضربنى حتى طار النوم من عينى من شدة الخوف ... وكنت فى حالة عجيبة من الرجاء والخوف بعد ما صحوت من النوم ، غير أني لما أدركت أن ذلك كله الذي أحس به إنما كان رؤيا في المنام ، زال الخوف .. ثم اضطجعت أراجع الرؤيا ، وأتذكر كلمات النبي ﷺ العذبة .

عند الشيخ عبد الرءوف :

وأفطرت ، ثم مضيت للمدرسة ، وأتيت أولا مع زميلى « ريشم خان » إلى الشيخ عبد الرؤوف ، وقصصت عليه رؤيا البارحة .. فقال : عزيزي « كرشن لال » أعتقد أنه لا حاجة بعدئذ إلى مزيد من الإيضاح والكشف ، إن الله عز وجل قد تقبل دعاءك ، وكشف لك الصراط المستقيم ، الذي ليس إلا الإسلام واتباع هدى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد كانت زيارتك

النبي ﷺ شرفا أي شرف ، حظيت به مرتين ، فلا يجوز لك أدنى تأخير في ذلك ، لأن الحياة غير موثوق بها ، والرؤيا الأخيرة تشف عن أنك ستجتاز المحن في سبيل الإسلام ، غير أن دعاء النبي العربي المدني ﷺ في حقك يكفيك .

والجدير بك أن تسلم اليوم . قلت : إني سأبتّ في القضية بصورة حتمية في ظرف يومين ، وأحيطك علما بذلك في ظرف ثلاثة أيام .. واستأذنت الشيخ وأتيت إلى المدرسة ، ثم عدت إلى البيت بعد العطلة .

وصول الخبر إلى أهل بيتي بعزمي على الدخول في الإسلام :

ومن الغد أخبرت بعزمي علي قبول الإسلام أحد الطلاب المسلمين في طريقي إلى المدرسة ، وأخبر هو أحد الطلاب الهندوس الذي أوصل الخبر إلى أهل بيتي ، وكان الوالد في كشمير حيث يقوم بوظيفته ، وكانت في البيت أمي وجدتي اللتان ما إن سمعتا بذلك حتى بدأتا تصبان اللعن عليّ .. فأنكرت صدق هذا الخبر ، وفي المساء جمعت جدتي جميع الهندوس الوجهاء في القرية ، وأخبرتهم بالقضية ، وطلبت منهم المشورة ، فقالوا : الخير أن تمنعيه من الذهاب إلى المدرسة ، وأرسليه إلى والده في كشمير ، ليلحقه هو بأي مدرسة هناك ..

ثم توجهوا إليّ ، وقالوا : ما هذه الحماقة التي بدأت ترتكبها ؟ وهل الإسلام ديانة تقبل ؟ وقد خيم البؤس والفقر على جميع أبنائه وهم يعيشون على الديون التي يأخذونها منا ، وليس هناك مفسدة إلا وتوجد في المسلمين ، وإن ديانتنا طاهرة مطهرة نقية ، فهل أنت تريد أن تترك الديانة النظيفة الطاهرة إلى ديانة قذرة نجسة ؟

قلت : إن الأطفال الهندوس قد أشاعوا ذلك مشاغبة منهم ، ولا تشوب هذه الشائعة شائبة من الصدق ..

وكانت جدتي جريئة مهيبة ، يخافها كل عضو في الأسرة ، فقالت لي : لو صنعت شيئا مما أسمعه ، لن أتركك على قيد الحياة . قلت اطمئني فلا أصنع ما يؤذيك . وعلى كل لقد خلصت حياتي من هؤلاء بكذب كان مؤسسا على المصلحة الإسلامية التي اقتضتها الظروف .. وما رجعوا إلى بيوتهم إلا بعد منتصف الليل .

– وفي الصباح عندما تأهبت للذهاب إلى المدرسة ، قالت لي أمي وهي تبكي : بنيّ ! حذار أن ترتكب خطأً ما ، وإلا فلن يبقى لنا عزّ ولا شرف ، وتهون كرامتنا في الأسرة وفي المنطقة كلها ..

– اطمئني يا أماه ! فلن أخطو خطوة خاطئة أبدا .. واطمأنت أمي بمقالتي ، ومضيت إلى المدرسة .. وبعد يومين أتيت إلى الشيخ عبد الرؤوف ، وقلت : اليوم أذهب إلى البيت ، غير أني أحضر إليك في صباح الغد .. قال : أمكث اليوم هنا .. قلت : واجب عليّ أن أودع أمي وأشقائي الوداع الأخير ، فقد لا ألتقي معهم في هذه الحياة .. ورضي الشيخ وقال : حسنا . وكان الغد يوم الجمعة المبارك وبداية عام ١٣٥٧ هـ .. على كل فقد عدت للبيت على موعد اللقاء في الصباح .

من هو الشيخ عبد الرءوف ؟

كان الشيخ عبد الرؤوف صالحا تقيا ، وكان من أتباع الشيخ حسين علي رحمه الله ، الذي كان من تلاميذ الشيخ الكبير الإمام الفقيه « رشيد أحمد الكنكوهي » من مؤسسي الجامعة الإسلامية دار العلوم بمدينة « ديوبند » (الهند) وكان الشيخ عبد الرؤوف ديوبندياً مذهباً – أي محاربا للبدع والخرافات ومتبعا لنهج السلف والعقيدة الإسلامية الخالصة مما علق بلجينها الصافي – وكان يعيش أوقاته كلها في خدمة الإسلام .. وقد توفي رحمه الله منذ سنتين ، رحمه الله وأنزل عليه شآبيب رحمته .

توديع الوالدة والأشقاء :

استيقظت صبيحة الجمعة ١ محرم الحرام ١٣٥٧ هـ الموافق ٤ مارس ١٩٣٨ م مبكرا حسب العادة ، وكان خفقان قلبي قد اشتد اليوم بصورة غير معهودة ، كانت أمي عاكفة على إعداد الفطور ، فقلت في نفسي : إن هذا الفطور الذي سأتناوله اليوم ، قد يكون آخر فطور تعده أمي لي ، وربما لا أحظى بعد ذلك أبدا بهذا الفطور الذي خالطه حنان الأم ، وتلطفت – وأنا أتناول الفطور – أن أمس بيدي قدمي أمي الحنون ، وقد نجحت في مسهما فقالت

أمي : ماذا تصنع ، قلت : لا شيء إنما أبحث عن قلم رصاص لي كان قد سقط من جيبي ههنا . وشعرت أن خفقان قلبي قد خفّ قليلا عند ما تشرفت بمس قدمي أمي ، ورجوتها بلسان الحال العفو عن تصرفي ، وهي لا تدري شيئا عن الحادث الذي يوشك أن يقع .

وعندئذ كنت أقول في نفسي : أمي الحنون ! قد يكون هذا آخر لقاء لك مع ابنك ، وقد لا تتاح له فرصة مس قدميك مرة أخرى في الحياة فاعف عني ، أسألك العفو سلفا عما سأسببه لك من المعاناة والازعاج ، وقد أجهدت نفسي لأسيطر على العواطف ، حيث كانت العيون تريد أن تبكي دموعا غزارا ، وكاد أن ينفذ صبري ، وتطفح كأس القلب واللسان .. ولكني نجحت في منع الدموع أن تشف عن عزائم القلب .

وكذلك احتلت أن أمسح بيدي رؤوس أشقائي الثلاثة الصغار : « موهن لال » و « أرحن داس » و « بريم داس » وودعتهم بلسان القلب بما يلي : أشقائي الأعزاء ، أنتم أفلاذ أكباد أمي ، وأحبكم حبا جما ، لكني سأفارقكم للأبد ، وربما لا يجمع بيننا الدهر ، وسأعيش مادمت حيا حزين مفارقتكم ، ولعلكم يوماً تقدرون ظروفي ، وسوف يحتفظ القلب بذكراكم ، ويا لهف نفسي !

هنا تقطر الدمع المترقرق في عيني من مآقيها .. وقد رأت أمي ذلك ، فقالت :

ما الذي يبكيك يا بني !

قلت لا شيء ، إنما داخل الدخان عيني فاستعبرتا ، وانخدعت الأم العفيفة الصافية بقول ابنها ، ووثقت بما قال .

مغادرة البيت :

ودعت الأم والأشقاء بلسان القلب ، وحملت الحقيبة وأخذت من الأم رسم المدرسة ، وتهيأت للتوجه إلى المدرسة ، ولما وصلت إلى فناء البيت ، ألقيت عليه نظرة خاطفة ، وقلت : يابيتي الحبيب ! لقد قضيت أربعة عشر ربيعا من عمري في ظلك ، فأحب قلبي كل ذرة من ذراتك ، ولكني اليوم أفارقك

للأبد ، وقد لا أجد فرصة قضاء وقت ما تحت ظلك بعد ، فسلامي عليك وتحياتي لك .

وخرجت من البيت وأنا مسيطر بحيلة أو بأخرى على هذه العواطف ... ولما غبت عن عيني أمي الحنون طغت علي العواطف واستسلم الصبر لقوتها وعدت كأني مدفوع بها كذرة تائهة لا قرار لها ، وكأن الدموع المنهمرة من عيني لا تنقطع حتى تجمدا . واجتزت القرية بصعوبة شديدة ، ورأتني إحدى السيدات المسلمات وأنا في هذه الحالة ، فقالت : لابد أن أمك قد ضربتك اليوم ! فقلت في نفسي : ما ضربتني أمي ! وإنما ضربني حنانها !!

وقد أشبعت فى الطريق حاجتي إلى البكاء ، وكانت صور أمى وإخوتي ماثلة أمامي ، ودائرة في مخيّلتي ، وكنت أتخيل الدموع التي ستسكبها أمي وإخوتى ، فبكيت على فراقهم طويلا ، وقد يحسبنى القراء جبانا ولكن ما حيلة من فرض عليه القلب إرادته ، وهل كان سهلا مفارقة الأبوين فى هذه السن الصغيرة ، والطفولة والغرارة ؟ لا ، وكلا ! إلا أن يد رسول الله ﷺ وجاذبية الإسلام كانت تمسكني ، وتتقدم بي إلى الأمام في فرحة غامرة .. وقد تغاضيت عن المصير الذي سوف ألاقيه ..

في بيت الشيخ عبد الرءوف :

وأتيت توا حاملا حقيبة كتبي : بعد ما ودعت أمي وأخذت منها رسم المدرسة – إلى بيت الشيخ عبد الرؤوف بدل أن أذهب إلى المدرسة ، وما إن وصلت إليه ، حتى جمع وجهاء القرية المسلمين من أصحاب النفوذ ، وأخبرهم بالقصة بفصها ونصها .. وقال لهم : إن الهندوس في المنطقة يفوقوننا اقتصاديا وماديا ، فربما يقدمون على رفع القضية ضدنا في المحكمة فهل ترضون يامعشر المسلمين أن تتحملوا هذه الأعباء كلها ؟ .. قالوا بصوت واحد : إن مثل هذا العمل الجليل الخير نرضى أن نضحّي في سبيل تحقيقه بأنفسنا ومهجنا ، فضلا عن أموالنا ! .. وكل ما في الأمر أن الولد صغير ، فنخاف أن تؤلمه ذكرى الوالدين بعد أسبوع أو أكثر فيعود إلى بيته ، وهنالك تهدر كرامتنا وتضيع سمعتنا وشرفنا .. فأكد لهم الشيخ أن هذا الأخ العزيز لن يغير قراره مهما تغيرت الدنيا ، لأن الشخص الذي يهديه الله للإسلام ، لن يحيد عنه مهما كان الثمن إذا كان إسلامه صحيحاً .

وتناولت الغداء مع الشيخ في الساعة الثانية عشرة ، ثم أمرني الشيخ بالاغتسال ، وأعطاني ملابس نقية فارتديتها ، ثم توجهت إلى الجامع لأداء صلاة الجمعة ، وكان قد انتشر خبر إسلامي في « بوجهال كلان » انتشار النار في الهشيم ، وكان الجامع قد غص بالناس قبل موعد الصلاة بوقت كاف ، وكان النساء يراقبون الجامع بفارغ الصبر من سقوف منازلهن .

اعتناق الإســـلام :

ولما دخلت أنا والشيخ عبد الرؤوف إلى الجامع ، نهض جميع الناس ليروني ، وأخذ الشيخ يدي في يده قبل صلاة الجمعة ، ولقنني الكلمة الطيبة ، ثم قال : الآن أنت مسلم ، ومرحبا بكم . ثم ارتفع صوت من كل جانب مرحبا بكم مرحبا بكم .

ثم صعد الشيخ المنبر وقال : اليوم سأشرح لهذا الولد الكلمة الطيبة ، إن الإسلام يأمر بالتوحيد وإفراد الله بالعبادة والعبودية ، وأن الله عز وجل متفرد بصفاته وهو وحده لا شريك له ، وأنه وحده يملك النفع والضر ، ويقدر على حل المشكلات ، وهو المتصرف في الأكوان ولا يحدث شيء فيها إلا بأذنه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ، وهو يعلم السر وأخفى ، ويعلم كل ما كان وكل ما يكون ، وأن سيدنا محمدا ﷺ كان آخر أنبيائه وسيد رسله ، وأن رسالة التوحيد إنما بلغتنا عن طريقه ، والإسلام يوجب على المسلم أن يقضي حياته حسب مرضاة الله ومرضاة رسوله ﷺ ..

أول صــلاة في حياتــي :

وبعد كلمة ألقاها الشيخ في فضل الإسلام وشرح مزاياه ، قرأ خطبة الجمعة ، ثم اصطف الناس للصلاة ، وكان قد أمرني الشيخ بأن أقف في الصف عند ما يصطف الناس ، وأن أركع وأسجد كما يركعون ويسجدون وأن أنيب إلى الله عز وجل بقلبي وقالبي .. فوقفت في الصف خلف الشيخ ، وركعت وسجدت مثل المصلين خلفه .

وكانت هذه أول صلاة أديتها دون أن أقرأ فيها شيئا ، وأرجو الله عز وتبارك أن يكون قد قبل هذه الصلاة من عبده الصغير الذي كان يبدأ رحلته على طريق الإسلام ، لأنه إنما ينظر إلى القلوب ولا ينظر إلى الصور والأشكال .

وبعد انتهاء الصلاة بدأ الناس يقابلونني ويتلقونني بترحاب وسرور لا يوصفان ، وكلهم كانوا يعانقونني ويضمونني إلى صدورهم ويرفعونني على رءوسهم . ومكثت هذه السلسلة نحو ساعة ونصف ..

ثم مضينا إلى بيت الشيخ ، وكان الحشد العظيم يصاحبنا ، وظل الناس يتوافدون لمقابلتي حتى موعد صلاة العشاء .. وطلب الشيخ من عدد من أصحاب النفوذ والوجاهة أن يحضروا إلى بيته بعد الانتهاء من أداء صلاة العشاء وتناول العشاء ، حتى يستشيرهم في بعض الأمور الهامة .

وبعث واحدا من الأصدقاء إلى عميد المدرسة – الأستاذ ملك محمد طفيل – ليحضر إليه ، وكان عميد المدرسة هذا رجلا مخلصا شفوقا عطوفا وكان عارفا بالأمور القانونية ودقائقها .. على كل فقد حضر العميد ورجال آخرون .. وعانقني العميد ، وأبدى عطفه عليّ .. وبعد ما أداروا المشورة ، قرروا أن يذهبوا بي ليلا إلى المحكمة المحلية في « بند دادنخان » ليسجلوا فيها تصريحاتي .

ووصلنا إلى المحكمة صباحا ، واستأجرنا محاميا ، وأعددنا عن طريقه طلبا مسجلاً : « أني أنا المسمى بغازي أحمد عاقل بالغ ، أسلمت برضا قلبي ، ولم يكن علي ضغط في هذا الصدد من أحد ، ولا إغراء ولا تهديد ، وحضرت المحكمة لأسجل تصريحاتي هذه » .

وقدمنا الطلب ، وبعد التقديم بساعة دعيت للحوار مع القاضي ، وكان المحامي والشيخ معي ، وأوّلا سألني مدير المحكمة عن اسمي الحالي والسابق ، وعن الأسباب التي دعتني لاعتناق الإسلام ، وظللت أجيب حسب ما جاء في الطلب الذي كنا قد قدمناه .. ثم طلب أن أقرأ الكلمة الطيبة فلما قرأت « لا إله إلا الله محمد رسول الله » قال : الآن أنت مسلم » ..وتركنا بعد قليل ، ثم حصل الشيخ صورة للتصريحات موافقا عليها من قبل المحكمة .

لماذا تسميت بـ « غازي أحمد » :

كانت أمي تقول : كنت قد اقترحت لك اسم « تارا جند » لكن أحد النسّاك الهندوس هو الذى أشار علينا بأن نسميك « كرشن لال » وبعد ما أسلمت اقترح الشيخ عبد الرؤوف أن أتسمى بـ « شفيق الرحمن » غير أني كنت أحب أن أتسمى بـ « غازي أحمد » فالتمست من الشيخ أن أسمى بـ « غازي أحمد » ورضي ، وأمر الأصحاب والإخوان أن لا يدعوني إلا بهذا الاسم .

صورة ما حدث في بيتي بعد ما بلغه إسلامي :

وإليكم جانبا آخر من الصورة ، لقد بلغ خبر اعتناقي الإسلام يوم أسلمت ، أمي وجدتي من الأب ، في نحو السِاعة الثانية عشر نهارا ، فغمرت البيت موجات الحزن والكآبة ، وبعث أهلي إلى والدي برقية يخبرونه فيها بحادث إسلامي ، وأن مسلمي « بوجهال كلان »أكرهوا« كرشن لال » على الإسلام ، وأنه الآن في حوزتهم .. وبدأ هندوس المنطقة يتدفقون على بيتي يبدون عميق أسفهم على اعتناقي الإسلام ، ويشيرون على جدتي برفع القضية إلى المحكمة ، غير أنها أجلت البت في ذلك حتى يحضر أبي من كشمير .

أول لقـــاء مع الأم :

فى يوم ٩ مارس ١٩٣٨ م أتيت على الدراجة إلى بئر (صوابيدارخان زمان) لأغتسل ، وكانت البئر تقع في بستان يقع في وسط الطريق بين « بوجهال كلان » و قريتي « مياني » ولا أدري كيف علمت أمي أني أتيت البئر أغتسل منها ، حيث حضرت في رفقة خالتي تقابلني ، وما أن وقع نظرها علي حتى أجهشت بالبكاء ، وضمتني إلى صدرها ، ورقت لبكائها قلوب كثير من السيدات المسلمات اللواتي كن ينزعن الماء من البئر .

قالت أمي وهي تبكي : يابني ! قد جردتنا من كل كرامة ، وأضعت علينا شرف العشيرة ، وأخذت بعضدي ، وقالت بلهجة ملؤها الحنان : تعال يابني نمشي إلى البيت ! .. قلت يا أماه ! لا أزال ابنك أنت ، لأن تغيير الديانة ما قطع آصرة الأمومة والبنوة ، على أن الإسلام يأمر بالبر بالوالدين أكثر من أي ديانة

أخرى ، فأنا في خدمتك دائما ، قالت تعال ! امش معي إلى البيت ، لأن أخوتك لا يزالون يبكون طيلة الأيام الأربعة ، منذ أن فارقت البيت ، وهم قلقون جدا من غيابك، قلت : يا أماه ! سأحضر بعد أيام ، وأرجو أن تذهبي الآن إلى البيت ، وسأحضر بنفسي في يوم من الأيام ، قالت سيصل أبوك بعد يومين أو ثلاثة أيام أما ذووك الآخرون فقد وصلوا ، من بينهم « كرنال نانك تشند » وزوج خالتك « ديال تشند » .

بعد اللقـــاء :

عادت أمي باكية إلى البيت وتوجهت أنا إلى قرية « بوجهال كلان » وإن كنت قد أبديت جلادتي وصبري أمام الأم ، فإني أشبعت حاجتي إلى البكاء في الطريق إلى القرية ، وشعرت بحب الأم وحنانها بعد ما فارقتها حيث بكيت حتى أثر ذلك على القلب والفكر ، ولكن الله عز وجل رزقني الاستقامة ، ولما عدت لرشدي سألته عز وجل أن يلهمني الصبر والسلوان ، حتى لا تزل قدماي عن الجادة ، وأحمده سبحانه أنه ألهمني الصبر والطمأنينة .

وقد تعلمت الصلاة في ظرف أربعة أيام ، وبدأت أؤدى كل صلاة في إخلاص تام ، ومضى نحو عشرة أيام في هدوء ، ولم يحدث شيء يزعجني .

سلسلة الإجراءات القانونية :

في ١٩ مارس ١٩٣٨ م حضر زوج خالتي « ديال تشند » "DEYAL CHAND" الذي كان يشغل منصبا كبيرا في أحد المكاتب الرسمية بـ « راولبندي » "RAWAL PINDI" وجدتي من الأب مخفر الشرطة Police Station في قرية « كلر كهار » ليسجلا عني لدى نائب ضابط الشرطة تقريرا بأن مسلمي « بوجهال كلان » أدخلوا ولدنا في الإسلام كرها عن طريق التهديد والترهيب وهو لم يبلغ بعد ، فنرجوكم أن تتكرموا علينا بتسليمه لنا لأننا نخاف على حياته .

فأمرهما نائب ضابط الشرطة هذا ، بأن يحضرا مخفر الشرطة في « بوجهال كلان » في الساعة الثالثة مساء تماما ، وأنه بدوره سيحضر بمجموعة من الشرطة .

في مخفر الشرطة :

في نفس اليوم كنت قد ذهبت إلى المسجد أؤدى صلاة الظهر ، ففاجأني أنا والشيخ عبد الرؤوف – الذي أسلمت على يديه – شرطي ، فانتهينا من الصلاة وتبعنا الشرطي ، فتبعنا جميع المصلين ، ووصلنا المخفر ، فإذا بي أرى أن كثيرا من أقربائي قد سبقوني إليه ، غير أني ما رأيت بينهم أبي ، لأنه لم يحضر من « كشمير » لحد الآن ..

وما أن وقع نظر جدتي علي حتى قربت مني لتقول في لهجة ملؤها السخط : يا قليل الأدب والحياء ! ما هذا الذي صنعته ، لقد دنست دينك المقدس ، فقليلا من الحياء ، يافاقد الحياء ! تعال امش معي إلى البيت ، وسوف لا نلومك بشيء على هذا الذنب الذي اقترفته ، ولا تخف شيئا ، لأن الضابط موجود ، وسيوصلكم هو إلى البيت في صحبته حيث لا ينالك مكروه ، وأخبره باسم المسلم الذي أكرهك على الإسلام بالتهديد .

وهنالك توجه إلى نائب ضابط الشرطة ليسألني فيما يأتي :

نائب ضابط الشرطة :

لماذا أسلمت ؟

أنـا :

لا شيء سوى أن أحقية الإسلام هي التي جذبتني إليه .

نائب ضابط الشرطة :

من الذي أغراك بالإسلام ؟

أنـا :

إنما أسلمت عن رضا مني دون إكراه من أحد ، وليس لأحد يد في ذلك ، وأنه قضية شخصية لي .

نائب ضابط الشرطة :

على كل ما الذي دعاك إلى مفارقة الأبوين وتغيير الديانة ؟

أنـا :

إني شخصيا درست عندا من الكتب الإسلامية التي كشفت لي أحقية الإسلام وصدقه .

نائب ضابط الشرطة :

إذا كان هناك مسلم أكرهك على الإسلام أو كان الشيخ عبد الرؤوف هو الذي أكرهك عليه ، فأخبرني بذلك ، حتى أتخذ ضده اجراءات قانونية ، ذلك أن أقرباءك يقولون : إنك لم تبلغ الرشد بعد ، وإنك لن تصلح لتخطو مثل هذه الخطوة الكبيرة برضاك !

أنـا :

صاحب السيادة ! لقد أكدت لك أني ما أسلمت عن ضغط من أحد أو من الترغيب والإغراء أو الترهيب والتهديد ، وإنما خطوت هذه الخطوة بدوري عن جدية ودراسة ورغبة ، وإنما يوجه أقربائي هذه التهم لأنهم لا يعرفون هذه الحقيقة ..

وآنئذ توجه نائب ضابط الشرطة إلى زوج خالتي ، وقال : ما عسى أستطيع أن أصنعه ، وقد أتت تصريحات ولدكم ضد تقريركم ، علما بأني لا يمكنني أن أتخذ إجراءات إلا في ضوء تصريحاته هو ، وقد استمعتم لها بدوركم .

وهناك التمس السيد « ديال تشند » من نائب ضابط الشرطة أن يسمح له بحديث معي في الخلوة فقال : لك ذلك .. فحملني إلى الجهة الخلفية من مبنى مخفر الشرطة .

« ديال تشند » يغريني :

وقال عزيزي « كرشن لال » إنك تعرف أني مسئول رسمي كبير في « راولبندي » والشرطة لا تستطيع أن تصنع شيئا ضد رغبتي ، فلا تخف أحدا ، إني سأصحبك إلى « راولبندي » وألحقك بمدرسة جيدة ، وقد اشتريت لك سيارة

خاصة ، وقد قررنا أن نزوجك في عائلة ثرية جدا ، فأنشدك الله أن تنزل عند رغبتي ، وتقول أمام نائب ضابط الشرطة : إني أرغب في أن أصحب زوج خالتي ..

ولم يأل جهدا في الترغيب والإغراء واستمعت له في انصات تام ، وربما حسب سكوتي رضا ، فقال : تعال : أبد رغبتك في صحبتي أمام سيادة نائب ضابط الشرطة .

قلت : ياسيدى قد استمعت لما قلت في إصغاء ، وقد فهمت جيدا فحوى جميع ما قلته ولكن الواقع أن هذه الراحة والنعمة وهذه اللذات الفانية لا تساوى قيمة دخول الإسلام ، فلا يمكنني أبدا أن أفضلها على أغلى الأشياء مثل الإيمان .. فسكت ولم ينبس ببنت شفة .

ولما صرنا أمام النائب قال : إن الولد رفض ما قلته ، وأنه مصر على رأيه .

فقال النائب : لا أستطيع – والموقف هذا – أن أصنع لكم شيئا – ويحسن أن ترفع قضيتكم إلى "HON. MAGISTRATE" في قرية « بهون » عسى أن تنالوا عنده العدالة التي تتوخونها ، فإنه يتمتع بامتيازات تمكنه من أن يتمعن في دقائق القضية في كل عدل وإنصاف .

قضية الليلة في المخفـر :

عادت جدتي وأهلي الآخرون إلى البيت ، والتمس « ديال تشند » من النائب قائلا : احضروا أنتم بالولد إلى « بهون » صباحا وسنصل نحن على الميعاد ، فقال لي النائب : أنت ملزم بأن تقضي الليلة في هذا المخفر ، قال وجهاء المسلمين الذين كانوا معي ، أرسل الولد معنا ، وسنحضره إليك صباحا ، إلا أن ضابط المخفر "STATION HOUSE OFFICER" لم يقبل فاضطررت أن أبيت في المخفر .

ولما أصبحنا ، ركبت الحافلة أنا والشيخ عبد الرؤوف ، والشيخ « خان محمد » في مراقبة الشرطة ، من موقف الباصات بقرية « بوجهال كلان » ووصلنا « بهون » في الساعة التاسعة إلا الربع ، ونزلنا من الباص وتوجهنا إلى المحكمة ، وكانت جدتي وأقربائي الآخرون قد ركبوا نفس الباص من موقف « مياني » .

في محكمة جي سينغ :

وقضينا في المحكمة وقتا في انتظار بدء عرض القضية ، وخلال ذلك ازدحم محيط المحكمة بمن تجمع من سكان قرية « بهون » من الهندوس والسيخ والمسلمين .

وعندما حضر « جي سينغ » دهش لهذا الزحام الحاشد ، فأمر الناس أن لا يقربن أحد منهم من قاعة المحكمة ، وكان أقربائي قد سبقوا في تقديم الطلب إلى المحكمة ، حيث أمر « جي سينغ » ضابط مخفر الشرطة أن يحضر الولد ليمثل أمام القاضي ، فمثلت بين يديه في مراقبة ضابط المخفر ، وسرحت نظري في أرجاء القاعة ، فوجدت فيها حشدا كبيرا من السيخ والهندوس .

والتفت إلي « جي سينغ » وقال : ياولدي ! الآن أوجه إليك أسئلة والمطلوب منك أن تجيب عليها بالصدق فليس عليك خوف ههنا .

القاضي : أولا : أخبرني لماذا فارقت دين أبويك في هذه السن المبكرة ؟

أنا : سيادة القاضي ! قد لاحظت في الإسلام مزايا ما وجدتها في الهندوكية ، إن الإسلام يعلم وحدانية الرب ، والهندوكية تتمتع فيها الوثنية بالمركز الأساسي ، الإسلام يقول إن خالق الكون هو الجدير بالعبادة ، وأن عتبته هي الجديرة بالسجود ، بينما الهندوس يعبدون الأوثان والأصنام والآلهة ، وبها يستعينون في حوائجهم ، ويرونها متصرفة في الكون ، إنه هو الشرك الذي يمنع منه الإسلام أشد المنع .

قال القاضي بعد ما سمع مقالتي : أعلم أن هؤلاء المسلمين الذين ينصرونك اليوم ، سيخذلونك عما قليل ، حيث لا يكون نصيبك إلا التشرد والتسول ، فقد رأيت عددا من معتنقي الإسلام عانوا من التشرد والتسول بعد الإسلام ، فخير لك أن لا تفارق أبويك ، ولاسيما وقد علمت أن أبويك وأشقاءك قلقون جدا من مفارقتك إياهم .. إن إزعاج الأبوين ذنب كبير ، إني أؤكد لك في ضوء تجربتي الخاصة أنك تعيش حياة الذل والتشرد إذا لم تعد إلى والديك ، إني لأعرف الحلو والمر في هذا الشأن ، إن هؤلاء المسلمين سينفضون من حولك بحيث لا تجد عونا ولا نصيرا فالأحسن لك أن تنزل عند رأيي !!

وبقيت منصتا أستمع لما يقول « جي سينغ » فظن الحضور أني تأثرت جدا بقوله ، حتى قالت جدتي بدورها – وهي كانت بجنبي – : سيادة القاضي ! إن الولد قد قال : إنه راض أن يعود إلى بيته مع جدته .

فقلت : سيادة القاضي ! إني ما قلت شيئا ، وإن جدتي قالت ذلك من عندها ، وأما أنا فقد قررت ما قررت بعد تفكير جيد ، وإن قراري لا يتعلق بما إذا كان المسلمون ينصروني أو يخذلوني .

قالت جدتي وهي تبكي : إذا لم يذهب معي فلا تدعوه يذهب مع المسلمين ، وضعوه في السجن .

قال « جي سينغ » إني لا استطيع أن أفعل شيئا في هذا الوضع .

قلت : إن السجن المؤبد لا يمنعني عما عزمت عليه ، أنا راض أن أكابد مصائب السجن طول حياتي ، لكني لن أرضى أن أترك الله ورسوله نبي الرحمة .

أثناء ذلك قال أحد أقربائي : سيادة القاضي ! الولد لم يبلغ بعد ، فلا يحق له أن يفارق ديانة أبويه في ضوء القانون الجنائي الهندي ، ونرجوكم أن تصدروا الأمر بفحصه الطبي .

أمر القاضي ضابط مخفر الشرطة أمرا كتابيا ، أن يذهب بالولد إلى المستشفي المدني "CIVIL HOSPITAL" في قرية « جكوال » وقال لأهلي أن يعرضوه بعد إجراء الفحص الطبي في محكمة عسى أن يصدر الحكم في حقكم .

في محكمة نائب الضابط القسمي بقرية « جكوال » :

ذهبنا مع الشرطة والأشخاص الآخرين إلى المستشفى ، وبعد الفحص الطبي منح الطبيب شهادة بأن « غازي أحمد » قد بلغ الحلم ، وبعد ذلك أحضرت في محكمة نائب الضابط القسمي "SUB DIVISIONAL OFFICER" الذي استطلعني قصتي ، فحكيتها بفصها ونصها ، وقدمت الشهادة الطبية "MEDICAL CERTIFCATE" .

قال نائب الضابط القسمي لأهلي : إن عماد المرافعة هو تصريح المتهم نفسه ، وبما أن تصريحه ليس في حقكم ، فلا يسعنا أن نصنع لكم شيئا ولكم أن ترفعوا القضية إلى المحكمة العالية .

رؤيا في المنـــام :

في هذه الأيام رأيت في المنام أني جالس في بيت ، والناس يحتشدون في ميدان ، وحلت القيامة ، ومضيت أنا كذلك إلى الميدان ، وكانت الشمس تشرق على رؤوسنا بكل شدة وحدة ، ولما بلغت حزارتها غاية الشدة تكونت غمامة وظللت على رأسي ، ثم نزل المطر الغزير ، واستيقظت وأخبرت الشيخ عبد الرؤوف بهذه الرؤيا فور صلاة الصبح فقال : تبتلي بمحنة أخرى ، إلا أنك ستجتازها بعون الله في نجاح .. وأثناء ذلك بدأت أذهب إلى المدرسة بانتظام .

حضور سيدى الوالد :

في منتصف أبريل وصل الوالد إلى البيت ، وبعد ما اطلع على الأحوال ، جمع وجهاء القرية وذوي النفوذ فيها ، واستشارهم في اتخاذ خطوة لائقة في هذه الأحوال .. قال بعض الحضور : إن كسب القضية في ضوء القانون غير ممكن ، لأن ابنك قد أدلى بصريحه ضدك ، والمتوقع أن تصريحه في المستقبل يأتي كذلك ضدكم ، وأن مثل هذا الولد سبة عار فى جبين الأسرة كلها ، فالأحسن أن ندعوه خارج قرية « بوجهال كلان » ونقتله ، حتى يعود إليك ماء عرضك ، وإلا فإن الناس لا يرضون أن يقيموا معك علاقة مصاهرة في أولادك الآخرين ، فأنت مضطر لتقديم هذه التضحية من أجل حصانة عرضك ودينك .

ولكن الوالد رفض هذا الرأي وقال : إن ذلك محفوف بالأخطار .

وقال أحد الحضور : إني أهديك إلى طريق لائق ، تقتل به الحية دون أن تكسر عصاك ، وهو أن تسالم ابنك حتى يبدأ الاختلاف إلى البيت وحتى تتوثق عرى الثقة فيما بينكم ، وهناك تضع له السم في الطعام فى يوم من الأيام ، وبذلك تحقق غرضك دونما مشقة .

حنان الأم وعطفها :

كانت أمي تستمع لهذا الحديث الذي دار بينهم ، ولا يرضى قلب الأم أن يقتل فلذة كبدها .. إن اختلاف الديانة لا يحول دون حنان الأم ... ولهذا استدعت غلام محمد الحلاق في الصباح الباكر ، وأعطته خمس روبيات ، وقالت له : اذهب إلي ولدي فى « بوجهال كلان » وأخبره أن لا يأتى « ميانى » ما لم أدعه أنا، وأن لا يأكل شيئا يعطيه له هندوكي ما لم أعطه أنا .. ومضى غلام محمد إلى « بوجهال كلان » ووصل إلى بيت الشيخ عبد الرؤوف يبحث عني وأبلغني رسالة أمي الحنون ، فسقطت قطرات الدموع من عيني من شدة الفرح وعواطف الشكر ، ودعوت ربي أن يهدى مثل هذه الأم الحنون حتى تسعد في دنياها وأخراها .

المحاكمة في محكمة « جهلم » :

وتقرر في ضوء مشاورة الهندوس من ذوي الرأي أن يرفع والدي في محكمة المديرية الدعوى بالحبس غير الشرعي ، فذهب من الغد ورفع القضية إلى المحكمة بأن المسلمين أكرهوا ابني الذي لم يبلغ الحلم على الإسلام ، وحبسوه عندهم ، وهم أغلبية في المنطقة ونحن الهندوس أقلية فيها فلا نستطيع أن نخلصه من مخالبهم بقوة منا ، وقال والدي فى دعواه التي رفعها إلى المحكمة أن عددا من المسلمين أغروا ابني بالإسلام من بينهم الشيخ عبد الرؤوف والشيخ ملك محمد طفيل عميد مدرسة « بوجهال كلان » وزمان محمد ، وريشم خان .

أول لقاء مع الوالد :

وبعد ما رفع أبى الدعوى إلى محكمة المديرية ، عاد إلى البيت ، ولم يعلم بذلك أحد ، وبعد ثلاثة أو أربعة أيام حضر إلى بيت الشيخ عبد الرؤوف في « بوجهال كلان » وكنت في مكان بالقرية ، فأخبرت بحضور الوالد ، وبأنه ينتظرني في بيت الشيخ ، فلما أتيت وجدته جالسا على سرير وحوله جمع من المسلمين على سرر أخرى ، يتحادثون معه .

فعانقني الوالد وضمني إلى صدره ، وأبدى وده وعطفه ، مما جعل قلبي يخفق بسرعة ، وجلست بجنبه ، وكان وجهه ممتقعا ، واستعبرت عيناه ، وبدا العطف الأبوي واضحا في صورة الدموع تتقطر من طرفي عينيه ورق لذلك قلبي ..

لقد كان إسلامي ثورة عجيبة حولت مسرات العائلة كلها أحزانا ودموعا ، ولقد انصبت المصائب على أهلي وأسرتي من هذا الحادث الذي حجب الابتسامة عن وجه كل أقربائي ، وأثار فيهم مزيجا من الحزن والسخط ، وكنت أعلم أني أنا السبب الوحيد في حزنهم وكآبتهم ، ولكني كنت مرغما أمام عقلي وضميري ، وكنت مدفوعا بعواطفي ومشاعري ، ولذلك وبالرغم من علمي بأنني صيرت حياة أبوي حزينة ، فما كنت أقدر على أن أصنع شيئا يعيد إليهما مسرتهما الأولى ، لأن الإسلام قد خالط لحمي ودمي ، فرأيت الخير في أن أضحي بمسراتهما ومسرات الأهل والأقرباء في سبيل هذا الدين المقدس .

قال أبي : يابني ! إذا كنت قد غيرت دينك فلا بأس ، فقد تكون قد وجدت في الإسلام ما أعجبك ، سرني أنك اخترت ما وجدت فيه الصدق إلا أنك أتيت خطأ كبيرا ، فقد كنت أكبر أشقائك ، وكان لزاما عليك أن تقوم على أشقائك ، وتعين أمك ، فلو عدت إلى بيتك بعد إسلامك لما حصل شيء تلام عليه ، وأنا موظف في شركة كما تعلم ، وحصلت على الإجازة بعد جهد جهيد ، ولو عدت أنت إلى البيت لما اضطررنا أن نتجشم مشقة دون جدوى ، وأن نتحمل نفقات السفر دونما فائدة ، فالمرجو أن تعود إلى البيت ولو بعد أيام تقضيها ههنا إذا أردت ، وأن تعيش حياتك في عافية في بيتك ، وأن تعني عناية كاملة بالدراسة ، وحذار أن تدع الذهاب إلى المدرسة .

وعلى كل فقد مكث الوالد طويلا ينصحني ، مما جعل قلوب الحضور ترق وتنفعل .. ثم قال : إذا كانت بك حاجة إلى النفقات فخذها مني ... قلت : لست الآن في حاجة . قال : إذا احتجت إلى شيء فلك أن تطلبه من بيتك .

ثم نهض للرحيل ، ومضى بعد ما صافح المسلمين ، وكان الشيخ عبد الرؤوف وغيره من المسلمين معجبا جدا بحديث الوالد ، وكان يقول : ما أرحبه صدرا رغم كونه هندوكيا ، إنه يبدو شريفا وعاقلا جدا .

رؤيـا جديدة :

بعد ثلاثة أو أربعة أيام رأيت في المنام أن هناك بوابة كبيرة تقف في أحد جانبيها جدتي ووالدي ومن إليهما من الأقرباء ، ومررت أنا بجانبها الآخر ، فأمسكوا بعضدي وجذبوني إليهم جذبا شديدا ، فصحت بالمسلمين بأعلى صوتي ، أن أدركوني فإن هؤلاء يذهبون بي معهم .. وخلال هذا الصراع صحوت من النوم .

ولما قصصت الرؤيا على الشيخ عبد الرؤوف في الصباح ، قال : ليكن الله فى عونك .. فإن الظروف تبدو غير مواتية ، والله أعلم بما في ضمير الغيب وربما تلقي محنة كبيرة أخرى فتوكل على الله عز وجل ولا تدع المخاوف تفعل فعلها في قلبك .

تقديم الطلب إلى مصلحة التعليم :

وخلال ذلك قدم الوالد طلبا إلى مفتش المدارس القسمي (DIYISIONAL INSPETOR OF SCHOOLS) بمدينة « راولبندي » يقول فيه : إن ولدي كان يتعلم في مدرسة دي بي الثانوية بقرية « بوجهال كلان » وهيئة التدريس كلها مكونة من المسلمين ، وعميد المدرسة ومدرسوها قد أدخلوا ابني في الإسلام بالإغراء ، فأرجو التحقيق (INQUIRY) العاجل في القضية .

وأمر مفتش المدارس القسمي السيد محمد صادق القرشي مفتش المنطقة (DISTRICT INSPECTOR) بالقيام بالتحقيق ، وجاء السيد القرشي إلى المدرسة بعد انتهاء ميعاد الدراسة فيها ، ودعا عميد المدرسة وجميع مدرسيها ، ودعاني كذلك عن طريق فراش في الساعة الرابعة مساء ، ولما وصلت المدرسة رأيت السيد القرشي وجميع المدرسين مجتمعين ، وبادر إلى القرشي وعانقني وأمرني بالجلوس على كرسي بجانبه ، ثم أخرج الأوراق التي معه ، وبدأ يسألني :

سألني أولا عن اسمي بعد الإسلام واسمي قبل الإسلام ، واسم والدي ، واسم قريتي ، والسنة التي أدرس فيها ، وأجبت طبق الأسئلة ثم قال : وأين تسكن الآن ومع من ؟ قلت : في مدرسة الشيخ عبد الرؤوف الدينية .

قال السيد القرشي : أخبرني بالأستاذ الذي قال لك في الخلوة أوفي فصل الدراسة أن الإسلام هو خير الأديان .. قلت : إن أيا من المدرسين لم يقل لي ذلك ولا رغبني فيه لحد الآن ، لا في المدرسة ولا في خارجها قال : إذا لم يقل لك أحد من معلميك شيئا عن الإسلام ولا رغبك فيه فكيف أسلمت ؟ قلت : سعدت برؤية النبي في المنام ، ودرست عديدا من الكتب الإسلامية ، وإنما أسلمت بترغيب النبي ﷺ ، ولا يد في ذلك لأحد من معلمي .

قال : وما الميزة التي رأيتها في الإسلام وفقدتها في الهندوكية ؟

قلت : ياسيدى ! دخلت في الإسلام حديثا ، فلا أعرف التفاصيل ولكني أعلم أن الإسلام شعاره التوحيد الذي تحرمه جميع الديانات على وجه الأرض ، أما الهندوكية فإنها تأمر بالسجود للأصنام التي يصنعها الناس بأيديهم ، بينما الإسلام يدعو للسجود لرب العالمين وحده .

قال : إن أمثال هذه المفاسد موجودة في المسلمين كذلك ، فقد رأيت الناس يسجدون لأضرحة أولياء الله .

قلت : سيدى ! إن إسلامي لا يسمح بذلك ، لأنه علمني السجود لرب العزة والجلال فحسب .

فسرّ القرشي كثيرا ، وقال : هل تحفظ الصلاة ؟

قلت : نعم ، إنى قد تعلمت الصلاة وحفظتها ، وأسمعته الصلاة ففرح بذلك جدا ، ودعا لي بالاستقامة .

ولما انتهيت من الإدلاء بالتصريحات ، وخرجت من الحجرة وجدت جميع المدرسين واقفين ينتظرونني ، فعانقوني جميعا ، وقالوا : قد أحسنت الكلام ، ونحن جميعا نرحب بك ، وندعو لك بالخير .

ولما أتيت المدرسة من الغد لقيت القرشي مرة أخرى ، ثم غادر المدرسة إلى مدينة « جهلم » .

وقد شغل القرشي منصب نائب مفتش (DEPUTY INSPECTOR) كذلك . وتعيينى فى مصلحة التعليم (DEPARTMENT EDUCATION) للمرة

الأولى ، إنما يعود الفضل فيه إليه ، وكلما لقيته تلقاني بغاية من العطف ، وأنا مدين له جدا .

على كل فإن سهم أبي طاش في هذه المرة كذلك ، وتقرير التحقيق لم ينفعه بصورة أو بأخرى .

استدعاء رسمي للحضور إلى « جهلم » :

في أواخر أبريل حضر رسول بأمر رسمي إلى السيد ملك محمد طفيل عميد المدرسة والشيخ عبد الرؤوف ، والسيد صوبيدار خان زمان ، وريشم خان بأن يمثلوا بالولد أمام القضاء في كذا من التاريخ ، فوقع عليه الجميع سوى العميد .

ودهش بذلك جميع من لقوا الوالد ، حيث رفع الدعوى إلى المحكمة في جانب ودعاني للعودة إلى البيت في جانب آخر .

وعلى كل فقد ارتحلت أنا والشيخ عبد الرؤوف وصوبيدار خان ، وريشم خان ، للمثول أمام القضاء في « جهلم » وركبنا الحافلة إلى مدينة « جهلم » واتفق أن سيدي الوالد وعددا من الأقرباء الذين كانوا معه ، ركبوا الحافلة نفسها من موقف الحافلات في قرية « مياني » ولما وقفت الحافلة بموقف « كلركهار » دعاني الوالد ، فنزلت منها ، واختلى بي ، وقال : بني ! لاحظن عرضي في القضاء في « جهلم » فإني والدك على كل حال ، ومن عسى أن يكون أنصح لك مني ؟ إن مواساة هؤلاء المسلمين معك مؤقتة وستلاقي الذل بعد ذلك ، وتضطر أن تعيش على التسول ، وعندئذ لا أعيرك أنا لفتة ما ، فالخير لك في أن تكون أمام القضاء إلى جانبي ، وأن تسمي المسلمين الذين رفعت الدعوى ضدهم ، وأن تقول : إن هؤلاء هم الذين اضطروني إلى الإسلام بالتهديد ؛ حتى يلاقوا العقاب من القضاء ، وحتى يكون ذلك عبرة لغيرهم من المسلمين .

ورغم أن القاضي مسلم ، لكنه أعطاني العهد بأن سيساعدني في القضية ، وقد بذلت في هذا الخصوص روبيات كثيرة ، وسأخبرك بالتفاصيل فيما بعد .

قلت : والدي ! كان خيراً لك أن لا ترفع القضية إلى المحكمة ، فقد تحملت نفقات باهظة دونما جدوى ، حيث لا تجني من ورائها نفعا ، لأني إنما

أقدمت هذا الإقدام بعد تفكير جيد جاد ، ولا يمكن أن أمرق من الإسلام أبدا ، مهما خذلني المسلمون بعد الأيام المعدودات ، كما تقول ، وحتى لو لم تعرني أنت لفتة ما .

يا أبت ! إني ما أسلمت طمعا في شيء ، فقد كان كل شيء متوفرا في بيتي ، فما تركت ديني في حب امرأة فقد كنت تستعد أن تخطب لي فتاة حسناء ، وما خرجت من البيت بضغط من أحد ، لأنه إذا كان الأمر كذلك ، خلصت نفسي بتصريح ضده أمام القضاء ، وأنك لأبي حقا ، وأنا أحترمك بهذه الصفة غاية الاحترام ، غير أني لا يمكنني أن أطيع أمرك فيما يتعلق بالدين ، فمعذرة إليك .

وسكت الوالد ، وعدت إلى الحافلة ، وأخبرت الشيخ عبد الرؤوف بالحديث الذي جرى بيني وبين الوالد ، وفي الطريق في قرية « تشكوال » تركنا الحافلة إلى حافلة أخرى توصلنا إلى مدينة « جهلم » .

وعندما تجهزنا للرحيل إلى « جهلم » أراد كثير من مسلمي بوجهال أن يصحبونا إلى « جهلم » إلا أن الشيخ منعهم من ذلك ، وقال : لا داعي لذلك على أن المسافة شاسعة وتكاليف السفر باهظة ، وإنه كان حصاد الزرع .

على كل فقد نزلنا في « جهلم » عند عالم ديني وقد أطلعه الشيخ على ما نحن فيه ، فأخذنا الطريق ليلا إلى قارئ (READER) قاضي المحكمة الذي دلنا اللقاء معه على أن الظروف قد لا تساعدنا لأن حديثه قد شف عن أنه هو الآخر قد باع ولاءه ، وربما كان الوالد وهندوس المدينة سبق أن استمالوه .

بعد صلاة الفجر قابلنا محاميا في بيته فطمأننا وقال : سأصل إلى المحكمة قبل الميعاد وأمهد الأرضية لقضيتكم ، ولكن عندما وصلنا إلى المحكمة وجدناه غائبا ، مما اضطرنا إلى أن نلجأ إلى محام آخر .

أمـــام القضـــاء :

وبعد قليل مثلنا أمام القضاء ، فرأينا مع الوالد عددا من هندوس المدينة ، وما أن وقع نظر أبي علي حتى بادر إلي ووقف بجانبي وأسر إلى قائلا : يابني

إن حرمتي الآن بيدك فلو بقيت على سيرتك الأولى ولم توافقني الآن كذلك لصرت مفضوحا وفقدت ماء وجهي ، وصعب علي أن أعيش في قرية « مياني » وإذا كنت تخاف أحدا في الإفصاح عن الحقيقة فها أنت ذا الآن أمام القاضي فأخبره باسمه ليصدر الأمر حالا باعتقاله .. وأنا بعد ذلك تحت أمرك فلا تطلب إلى شيئا إلا وفرته لك ، وما عليك الآن إلا أن تقول أمام القاضي إنى أحب أن أكون مع والدي .

ظللت ساكنا وأنا أفكر في تحولات الزمان ، وأقول في نفسي : ما أكثر العوائق التي تحول بين المرء وربه : مشكلة الرق ، ومشكلة أسباب العيش ، ومشكلة حب الوالدين والأخوة ، وعلائق الأهل والأقارب وما إلى ذلك من آلاف الهوايات . فلو لم يدعها المرء في الدرجة الثانوية لحرم الطريق إلى الله عز وجل .

وقد قلق فؤادي لما رأيت من عجز والدي ، ولكن لقمان تمثل أمامي على الفور يتحدث إلى ابنه وهو يعظه : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا » .

وتبعثرت من هذا الحوار بين الوالد وولده جميع المخاوف المتماثلة بين يدي فقلت لأبي : يا أبت ! إن ابنك معذور في هذه القضية .

وكان القاضي مشغولا بالإملاء على القارئ (READER) ولما فرغ منه التفت إليّ قائلا : أيهذا الولد ! أنت الذي أسلمت ؟ قلت : نعم ، قال : ما أسمك ؟ وفي أي صف وفي أي مدرسة تتعلم ؟ قلت : في صف كذا في المدرسة الفلانية . قال : من الذي أغراك بالإسلام ؟ قلت : ياسيدي ! أسلمت برضاي دون إكراه أو إغراء من أحد . ثم قال مشيرا إلى والدي : هذا أبوك ؟ قلت : نعم ، قال : هل تريد أن تذهب مع أبيك ؟ قلت : لا وكلا . قال إذا كان قد أكرهك أحد من المسلمين فدلني عليه لأصدر الأمر باعتقاله . قلت : سيدي ! ليس لأحد يد في إسلامي .

ثم أمر القاضي جميع الحضور أن يخرجوا من القاعة وأشار اليّ وإلى الوالد أن نمكث وقال : أنت ما بلغت الحلم بعد ، فأنت ملزم بأن تعيش مع والدك حتى

تبلغ . قلت : أنا بالغ وعاقل ، وأن صاحب البيت أدرى بما فيه .

ولم يلبث القاضي حتى بدت ملامح الكراهية على وجهه ، وأشار اليّ بالجلوس على كرسيّ شاغر بجانب القارئ فجلست ، ثم تقدم أحد الهندوس المصاحبين لوالدي وأعطى الضمان ، وأمرني القاضي بأن أصحب والدي ، وأعيش معه فرفضت .

في حراسة الهندوس :

وأمر القاضي الوالد ومن معه من الهندوس قائلاً : خذوه معكم .. ثم قاموا بفحص ملابسي ووجدوا عندي سكينا صغيرا فضبطوه وتقدموا اليّ ليقبضوا عليّ فنهضت وحاولت أن أهرب من القاعة ، لكنهم تمكنوا من التغلب عليّ ، وحركت يدي ورجليّ دون جدوى ، ثم صحت بالمسلمين بأعلى صوتي أن أدركوني ، إنهم يريدون أن يأخذوني معهم على الرغم مني أنقذوني منهم لأنهم سيقتلونني ، وكان الشيخ عبد الرؤوف والشيخ صوبيدار خان يرون هذا المنظر من بعيد وضعوني في سيارة خارج مبنى القضاء ، وتحركت ووقفت عند مبنى ذي دورين على شاطئ نهر « جهلم » وصعدوا بي إلى الدور الثاني وكنت لا أعرف حقيقة الحال ، ولكني كنت دهشاً للقسوة التي أبداها القاضي حيث أسلمني لأبي بالرغم من رفضي لذلك كل الرفض ... وخلال ذلك اجتمع كثير من الهندوس المجاورين وكنت لا أتوقف عن البكاء ، وقدموا إليّ الشاي ، فرفضته ، وظللت أبكي حتى المساء ، وكنت أواجه في هذه البيئة الأجنبية ما يشبه القيامة ، ونمت في الليل دون أن أتناول شيئا .

حضور أمي إلى « جهلم » :

وفي نفس اليوم أبرقوا إلى أمي أن تحضر حالا إلى « جهلم » فحضرت مع شقيقي الصغير في اليوم الثالث ، وما أن وقع نظرها عليّ حتى بدأت تبكي وتقول: لئن لم تشهد معنا في المثول القادم أمام القضاء فلن أرجع إلى بيتي وإنما أقتل نفسي بالسم أو بالارتماء في النهر ، ولا يمكن أن أرجع إلى البيت إلا بعد أن أستصحبك ، لأن جميع الأقارب بدءوا يكرهوننا من أجلك حتى صعب على أشقائك الصغار أن يتعلموا في مدرسة « مياني » حيث عاد المسلمون يسخرون

منهم . يابني ! أقسم بالله أننا صرنا نتقلب على أحر من الجمر منذ أن فارقتنا ، أنام في الليل أبكى في ذكراك ، وأستيقظ في الصباح أنادي باسمك .

لقد نفذ حديث أمي هذا إلى قلبي كالرمية من السهم وكاد القلب يدمى لولا أن صورة النبي ﷺ الحبيبة تماثلت أمام عيني ، ووضعت الضماد على جروحي ، وكانت سلوى لى عن كل مكروه وعزاء لي عن كل حزن وثبتت قدماى اللتان كادتا أن تزلا ، فتحولت كل وسوسة إلى يقين ، بل إلى حق اليقين .

وكانت أمي تتحدث إليّ في الموضوع بهذه الكلمات كل يوم وكنت أكتفي بالسماع دون أن أحير جوابا ، ورغم صحبة الوالدين كنت أعيش فى أسوأ حال مما يذكرني بيوم المحشر ، وكنت تحت حراسة شديدة فكنت لا أستطيع أن أخرج من البيت ، وكان يلازمني فى كل وقت رجلان أو ثلاثة رجال ملازمة الظل أو ملازمة الغريم .

وضع المحاكمـة :

وقلت لأبي ذات يوم : أرجو أن تتكرموا علي بإخبارى بوضع المحاكمة وحقيقة حالها ، فقال : إننا مأمورون بالمثول أمام القضاء بعد عشرة أيام فلو شهدت معنا يوم المثول فسنكسب القضية ويكون القضاء لصالحنا ، وإن نجاحنا في القضية مضمون حتماً ولو خذلتنا ، فانس المسلمين ، وتأكد أنهم لن يروا أبدا صورتك وقد أسلمك القضاء إلى لعشرة أيام حالا .

التضرع إلى الله :

وعندما سمعت ذلك من والدي مشت الرعدة في جسمي وشل تفكيري من شدة الخوف ، ولكني ما نبست ببنت شفة ، وإنما تضرعت إلى ربي قائلا : إنك وحدك تقدر على أن تنقذني من هذا العقاب المهين ، اللهم إن نفسي الصغيرة المتواضعة لا تستطيع أن تتحمل هذه المحنة ، يارب لم استطع أن أؤدى صلاة منذ ثلاثة أيام أو أربعة أيام ، وإنما أكتفى بصلاة غفل من القيام والركوع والسجود ، اللهم فتقبلها مني ، ووفر الأسباب التي تعيدني إلى المسلمين .

وظل الوالد مقيما في « جهلم » فى انتظار المثول القادم أمام القضاء ، وبعد أربعة أيام انتقلنا من هذا القصر ذي الطابقين إلى مضيف معبد هندوكي على شاطئ نهر « جهلم » وكنت لا أدري المصلحة التي دفعت الوالد إلى الإقامة بجهلم حتى المثول القادم ، وربما كانت هناك مصلحة اضطرته لذلك .

وفي اليوم الثاني قال لي أبي : تعال نتجول في السوق وكان معه ثلاثةمن الهنادك وركبنا عربة حصان ، وكنت لا أدري أين يتجهون بي ووقفت العربة أمام مكتب ، ودخلناه فإذا فيه رجل إنجليزى فأجال فيّ الرجل نظره ، ثم كتب شيئا على الورق وقدمه إلى الوالد وأخرج الوالد من جيبه نقودا ، وقدمها إليه هدية ، وكان هذا الرجل ضابطا صحيا للمنطقة (DISTRICT HEALTH OFFICER) قال لي أبي : إنه طبيب كبير وقد منحني شهادة عدم بلوغك ، فلو رفضت بعد ذلك أمام القاضي أن تكون معي لوضعت في السجن للأبد ومتّ فيه ذليلا محروما .

وقد فزعت بعد ما أخبرني الوالد بهذه القصة وتضرعت إلى ربي الأكرم قائلا : يارب ما عسى أن أفعله بعد ذلك ، والسجن المؤبد ينتظرني ، ولكنك تقدر أن توجد سبيلا للخلاص ، وقد قضيت هذه الأيام السبعة أو الثمانية في قلق لا يوصف، وكنت أجهد صبرا من حديث والدتي الرقيق وكان يذوب له قلبي ، فكنت أنيب إلى ربي أسأله العون والسلوى .

المثول أمام القاضي مرة ثانية :

في اليوم التاسع أتى إلى الوالد أربعة أو خمسة من الهندوس وأمرونى والوالد أن نصحبهم فتوجهنا في صحبتهم ولا أدري المنزل ، وكنا نركب عربة حصان ، فوقفت أمام مبنى المحكمة ، فقلت لأبي : إن تاريخ المثول هو اليوم التالي فكيف أتيت بي اليوم ؟ قال : لاشك أن تاريخ المثول إنما هو الغد ، ولكننا اليوم حضرنا لنقابل القاضي في حاجة ملحة ، ودخلنا قاعة القضاء وكان القاضي على كرسي العدل والقضاء ، فأقبل على والدي قائلا : حضرت بالولد .. ليبق معكم لسنتين وراع راحته ، وبعدهما يكون مسموحا له بأن يعيش حيث شاء . وأكمل الآن أوراق الضمان .

آنذاك علمت أن هؤلاء إنما حضروا اليوم ليكسبوا الحكم في حقهم ... وهناك رجوت القاضي أن لا أذهب مع أبي بصورة أو بأخرى ، ولكن رجائي عاد صوتا في واد ، لأنه باع العدل والإنصاف بثمن بخس دراهم معدودة ، وداس آمال القلب الصغير تحت قدمي الظلم والمحسوبية ، وحارب الإسلام رغم كونه مسلما ، وضرب بتعاليم الرسول عرض الحائط مقابل مبلغ متواضع ، فقد قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : لأن يهدي الله بك رجلا إلى الإسلام خير لك من حمر « النعم » ولكن رجلا ينتمي إلى الإسلام باع تعاليم رسوله برويبات قليلة .

رحيـــل أمي :

عل كل فإن رجائي كله عاد نفخا في رماد ، ولم يسعني أن أقول إلا كلمة أطلقتها في أسف واستغراب « يا له من عدل » ثم تبعت الوالد ووصلنا إلى المنزل ، ثم ودعت أمي حين ركبت الباص للبيت ، وعدت فوجدت أبي يتجهز للسفر قلت له : أين تريد ؟ ولكنه لم يعط جوابا .

وكنت فزعا حيث لا أدري إلى أين يقصد ؟ وماذا سيصنع بى في المرحلة القادمة ؟ . وما كان هناك عزاء إلا رحمة الله العلي الأكرم وبدأت ملامح وجهه تشف في إبهام عن الأوضاع المتغيرة ... وكان قلبي يخفق في فزع شديد من المخاوف المبهمة .

نصيحـة الأم :

وكنت أتذكر مرة بعد أخرى كلمات أمي لدى مغادرتها للبيت : « بُني ! أسلمك الله ، وأرجوك أن تطيع والديك لله وأن تلاحظ أن ترضينا عنك في كل حال وأن تقدر دموعي المنهمرة من عيني الآن لأكون مدينة لك طول حياتي » .

يا لها من شخصية مقدسة تلك الأم التى تريد أن تكون مدينة لابنها . إن مشهدا مجهولا غامضا تماثل بين عيني عندما تضرعت إلي بوصل كفيها على طريقة العجم ، ولاسيما الهندوس عند شدة التضرع والإلحاح . قلت : لا تصنعي ذلك يا أماه ! ولا تزيدى في قلقي فاني سأكون سعيدا إذا وضعت

نعالك على رأسي ، ولكني أتمس منك أن تلاحظي عذري واضطراري كذلك ، فإني لم أصنع ما صنعت برضا مني وإنما تم ذلك برضا من خلقني وإياك ، وإلا فكيف كان يمكنني أن أصنع هذا الصنع العظيم في سني هذه الصغيرة ، وأرجوك أن تطمئني وأن لا تحزني ولا تقلقي ... لقد كانت كلمة أخيرة صدرت من فمي وتحركت الحافلة !!

وبعد مغادرة أمي شلت قوة تفكيري ، وفقدت رشدي ، وهناك أنبت إلى ربي : اللهم أين أنا ، وما هذه القصة التي أعيشها ؟ وبينما أنا كذلك إذ عدت كأني أسمع هاتفا غيبيا يقول : إن الثبات شعار المسلم .. ألم يكفك تعليم الرسول ﷺ مرشدا : « والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » فاستقر القلب الخافق الغارق في القلق ، ونادى ضميري : لو صارت جميع نساء العالم أمهات لي ، لرضيت أن أجعلهن فداء لقدمي الرسول ﷺ الطاهرتين ... فدته روحي ونفسي .

العطف الإنسـاني :

في مثل هذه الأوضاع كثيرا ما تتماثل أمامي حادثة مر بها الرسول ﷺ تدل على مدى ما أودع الله القلب البشري من العطف واللطف والرحمة .. في غزوة أحد طعن العبد الأسود وحشي عم الرسول ﷺ سيدنا حمزة بن عبد المطلب فأكرمه الله بالشهادة ، ونهضت زوجة أبي سفيان هند فاستخرجت كبده ومضغتها ، وقد حزن الرسول ﷺ على استشهاد عمه حزنا شديدا فاستعبرت عيناه .

ولما انتشر الإسلام وتعدى المدينة وغطى برحمته كثيرا من البلاد والأقطار ، دخل وحشي في حظيرة الإسلام هو الآخر ، وقطع على نفسه بين يديه ﷺ عهداً أنه سيحاول التكفير عما صنعه من قتل حمزة بقتل أحد رؤوس الكفر وزعماء الشرك . وقد أوفى بعهده وأوصل مسيلمة المتنبي الكذاب الذي أضل آلاف الناس ، إلى نار جهنم وذات يوم ارتاد وحشي مجلس النبي ﷺ فأمره أن يكون في مجلسه خلفه ولا يجلس بين يديه لأن رؤيته كانت تذكره بعمه ، فخاف على وحشي أن تثور في نفسه ﷺ عاطفة الكراهية ضده .

إن الإنسان مجبول على حب الوالدين وحب الأقارب والأهل ، وهو مضطر أن يحبهم على كل حال ، والحديث المسرود أعلاه إنما يطلب من الإنسان الحب العقلي الذي يختاره بإرادته وقصده دون الحب الطبيعي .

وقد أمرنا رسولنا الحبيب ﷺ أن نعطف على جميع الخلق ، فضلا عن الوالدين اللذين فطر المرء على حبهما ومعاملتهما بالعطف .. أما صغير السن الغرّ مثلي ، فقد كان كذرة ضائعة أو عود متواضع أمام سيل الحب العارم .

المغادرة إلى « لاهور » :

وبعد مغادرة أمي مدينة « جهلم » بقيت فيها أنا وأبي وعمي « رام سرن » وأقبل الوالد والعم يجهزان أسباب السفر ، وهناك سألت أبي مرة ثانية : أين تقصدون ؟ قال : إلى « لاهور » حيث أدعك للدراسة عند عمك ، وأذهب أنا إلى « كشمير » لأقوم بوظيفتي .. وعندما علمت بذهابهم إلى « لاهور » سررت في نفسي غاية السرور حيث قدرت أني سأنتهز الفرصة للتخلص إلى « بوجهال » ... غير أن الله العلي القدير كان يقدر غير ما قدرته ودبرته ... على كل لقد وصلنا إلى موقف الحافلات ننتظر الحافلة الموصلة إلى لاهور .

أوضاع « بوجهال » :

ويحلو لي بالمناسبة أن أعود بالقراء إلى « بوجهال » ... فبعد ما خرج الشيخ عبد الرؤوف ومن معه من المسلمين عادوا إلى « بوجهال كلان » وأخبروا المسلمين بما جرى معهم وما حدث معي من إرغامي باشراف القاضي وبإيعاز منه ، على ذهابي مع الوالد ، وأخبرهم بأن الهندوس انتزعوا منا « غازي أحمد » بحكم من القاضي ، وأن القضاء أمرنا بالمثول مرة أخرى بعد عشرة أيام ، فلو أعطى غازي أحمد الهندوس لانقطع فيه الرجاء ، وقد قلق المسلمون للغاية عندما اطلعوا على وضع القضية ، وقالوا للشيخ عبد الرؤوف لو أخذتنا معك يوم القضية إلى « جهلم » عند المثول الأول، لأنقذنا «غازى أحمد» من حوزة الهندوس مهما اقتضى ذلك من التضحية والفداء .

مقابلة الشيخ عبد الرؤوف :

وعندئذ الح المسلمون على الشيخ عبد الرؤوف أن يصحبهم في المثول أمام القضاء للمرة القادمة ، وقد سمح لهم بذلك ، وفي ذات المساء الذي كنا نغادر « جهلم » إلى « لاهور » وصل الشيخ وعدد من وجهاء المسلمين معه .. من بينهم « صوفي جان محمد » و « محمد صادق » وغيرهما – وبينما كانوا جالسين قبالة موقف الحافلات في مطعم ، إذ وقع نظر محمد صادق عليّ فأسرع يهرول ، ويقول : إن الشيخ يدعوك ، فأتيت إليه من ساعته وما أن انتهيت من مصافحة هؤلاء الأخوة في الإسلام ، حتى قال الشيخ : رح فإن أحدا من أقربائك متوجه إلينا ، والتفت فإذا العم قد وصل فعدت أدراجي .

الوصول إلى « لاهـور » :

إن الشيخ عبد الرؤوف وزملاءه غادروا المطعم ولكنهم لم يعلموا بما كان قد حدث من تغير في وضع القضية في غيابهم ، أما نحن فقد ركبنا الباص ووصلنا « لاهور » وأما هم فقد وبدءوا يبحثون عني في « لاهور » فأخبرهم أحد الموظفين الرسميين في المحكمة أن « غازي أحمد » كان قد مثل اليوم أمام القضاء وأن والده قد استصحبه ، ولا يدرى إلى أين ذهبوا ، وهناك سأله الشيخ عبد الرؤوف عن التصريح الذي أدليت به أمام القاضي : هل كان في حق المسلمين أم ضدهم ؟ فقال : إنه لا يزال قائما على الإسلام ، ولكني لا أعرف التفصيلات في هذا الشأن .

وفي الصباح الباكر وصل نحو ثلاثين من أهالي « بوجهال » – بعد ما بلغهم ما حدث في شأني – إلى « جهلم » ولكنهم يئسوا بعد ما اطلعوا على حقيقة الحال ، وعلى ما افتراه محامى والدى الهندوسى من أننى كنت فى القضية مع والدى ، وأننى صرحت أمام القضاء بأننى أخطأت خطأ كبيرا عندما أقدمت على الإسلام ، وأننى قد عدت الآن إلى ديانتى وأننى سأعيش مع الوالدين منذ الآن .

ودهش الشيخ عبد الرؤوف وجميع المسلمين معه عندما سمعوا هذا الافتراء الذي نسجه المحامي الهندوسي حيث لم يكونوا يتوقعون أن يحدث

من « غازى أحمد » ما قال لهم المحامي ، ولكنه استطاع أن يقنعهم بقوة فنه في تحسين الكلام واختلاق الدلائل .

قال الشيخ لزملائه أن ارجعوا إلى « بوجهال » أما أنا فسأمكث اليوم في « جهلم » لأدرس الأحوال جيدا وأصل إلى مغزى الواقع .. ثم قابل محاميه فكشف القناع عن الحقيقة .. وقال : إن محامي والد غازي أحمد زور الواقع لديكم ، واختلق ما لم يحدث ، وأن غازي أحمد لا يزال مصرا على البقاء على الإسلام بكل قوة وعزيمة .. وكذلك علم الشيخ بصورة من الصور أن والد غازي أحمد كان قد اشترى تذاكر « لاهور » وركب الباص إليها .. فوصل هو الآخر من ساعته إلى « لاهور » وطلبني في كل مكان أمكنه الوصول إليه ، ولكنها مدينة شاسعة الأرجاء لا يمكن أن يطلب أحد أحدا فيها بدون عنوان ، وبعد ما تجول أربعة أو خمسة أيام في الأحياء الهندوسية رجع كئيب البال إلى « بوجهال » .

وما أن صحونا من النوم في الصباح حتى اجتمع لدي أقربائي المقيمون بمدينة « لاهور » الذين تسامعوا بمقدمي إليها ، وبدأوا يسخرون مني ويقولون : أيهذا الباحث عن الدين الحق ، قد أهنت أسرتك وأضعت ماء وجهها ، ماذا عسى أن تناله عند المسلمين الذين يعيشون عالة يتكففون الناس ؟ وبالجملة فقد قال لي كل منهم ما شاءت نفسه ، وظللت ساكتا أسمع ما يقولون ، وما وسعني إلا أن صارحتهم أخيرا : أني سأظل ثابتا على ما قررت ولن أغير من رأيي مهما حدث .

عدم تجربتي جرَّت على الويلات :

ولما شاهد والدي ما فيّ من طبيعة الإصرار ، غيّر عزيمته على تعليمي في مدينة « لاهور » وخاف أنه إذا تركني في « لاهور » فربما أمكن أن أكتب إلى أحد مسلمي « بوجهال » وأستقدمه إليها وأصحبه إلى بوجهال ، أو أفر وحدي إلى المسلمين فيها .

وإن غرتي وعدم معرفتي بمسيرة شئون الحياة ، وصدقي في القول أوقعني فى المشكلات في كل خطوة ، فلو أعملت النفاق وقلت لوالدي : إني تركت الإسلام ، وعزمت من جديد على أن ألازم ديانتي الأم : الهندوكية ، لكان

بالإمكان أن يلحقني بإحدى المدارس الهندوكية فى « لاهور » ولأمكنني عندئذ أن ألوذ بالمسلمين في سهولة .. ولكنه لم يكن في مستطاعي آنذاك أن أتلفظ « بأني تركت الإسلام » فقد كان ذلك سبة عار على حبي لله ولرسوله ﷺ المتمكن في قرارة قلبي وأعماق نفسي ، وكنت أعلم أن إيماني يتألق بهذه البلايا والمحن .

ولئن لم تكن سني الصغيرة تحتمل عبء هذه البلايا ، فقد كنت مؤمنا بأن شيئا قليلا من ثباتي على الجادة سيوصلني إلى الهدف النبيل عما قريب ، ولهذا قررت أن لا أقحم النفاق والسياسة في باب هذا الحب الزكي ، وظللت ثابتا على الموقف ثبوت الجبل ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

من « لاهور » إلى « ملتان » :

وصادف وصولي إلى « لاهور » مناسبة زواج أحد أقربائي ، وكان المقرر أن يذهب موكب الزواج من « لاهور » إلى « ملتان » وقد وجهت الدعوة للوالد للاشتراك في الموكب فارتحلنا لملتان ووصلنا إليها ، فشغل الوالد بأمور الزواج ، ودخلت أنا حجرة مفردة توجد فيها الأوراق والأقلام فكتبت إلى الشيخ عبد الرؤوف : لا يهمكم أمري لأني والحمد لله ثابت على الإسلام ، وأنا أترقب الفرصة ، وما أن تسنح حتى أفر إليكم .

ووقع نظر والدي علي وأنا أكتب هذه السطور للشيخ عبد الرؤوف ، وأتممت الكتابة ، ووضعت الرسالة في جيبي حتى أحولها للبريد عن طريق أحد الإخوان في سني .

وبعد قليل دخل عليّ الوالد ، وقال لي : اغتسل ، فنزعت ملابسي وألقيتها على جدار الحمام وبدأت أغتسل ، واختلس والدي النظر ، وسل الرسالة من جيبي ، وأسمعها عمي وقال : إنه يريد الفرار .. فلابد أن نأخذ الحيطة .

وقد سببت رسالتي هذه لي متاعب شديدة ، ولما خرجت من الحمام ألقى الوالد الرسالة أمامي قائلا : يا قليل الحياء ! متى تعود لرشدك ، لماذا عزمت على أن تلطخ وجهي بالتراب وتهتك البقية الباقية من عرضي ؟ ألست تعرف شدتي في

الأمور؟ وأعلم أني بدوري دهش لحلمي أمام خبثك لحد الآن وصبري على صنيعك لهذه اللحظة ، وأعلم إنك إذا أقدمت على مثل هذا العمل بعد ذلك فتفقد حياتك .. وأمامك متسع من الوقت ، ولك أن تعود لرشدك !

وظللت منصتا لمقالته ... ألوم حماقتي في نفسي وبدأت أخاف الوالد ، لأني كنت أعرف أنه رجل عنيف الطبع ، فلو راح يعاقبني لما تركني على قيد الحياة . ولم تكن أمامي حيلة وقد خرج السهم من القوس وقلت للوالد : سوف لا آتي بمثل ما أتيته في مستقبل الأيام .

من « لاهـــور » إلى « كشمير » :

وأقمنا عند عمنا في « لاهور » في عودتنا من « ملتان » يومين أو ثلاثة أيام ، وفي اليوم الثالث تجهز الوالد للرحيل ، وفي المساء بدأنا الرحلة إلى « لاهور » وفي منتصف الليل وصلنا « جمون » وقضينا بقية الليل في رباط ، وكان للوالد في « جمون » معارف كثيرون ، وفي الصباح ذهب بي إلى ناسك هندوسي ونزلنا عنده طيلة يومين .

ولما علم الناسك بأحوالي ، جاء بعدد من الكتب والرسائل ، وأمرني أن أقرأها ، كان من بينها كتاب « ستيبارتهبركاش » لمؤلفه الهندوسي « سوامي ديانند سرسوتي » أورد فيه المؤلف على القرآن الكريم ١١٤ اعتراضا بعدد سور القرآن ، كان الاعتراض الأول أن القرآن يبتدى ببسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، ولو كان منزلا من عند الله لكانت بدايته كما يلي : « أبدأ باسمي » أي كان الواجب أن تكون صيغة المتكلم مكان صيغة الغائب ، واستنتج من ذلك المؤلف أن الكتاب الذي بدايته خاطئة لا يمكن أن يكون كتاب رب العالمين .

فقلت للناسك : سيدي ! إني حديث عهد بالإسلام ، ولا أعرف تفاصيله لحد الآن ، لكن الرد على هذا الاعتراض الذي أورده « سوامي » لجد يسير ، حيث أن الله لم ينزل هذا الكتاب لنفسه وإنما أنزله لكي يقرأه عباده ويهتدوا به ، فأراد أن يعلم عباده كيف يبدءون تلاوته ، فلم يكن لتصح ههنا صيغة المتكلم .

وأسكت الناسك وقال : إني أطلعك على أمور مفيدة للديانة الهندوكية .

واستوعبت قراءة كتاب « سوامي دياناند » فيما بعد وعلمت أنه لا يعرف الألف والباء من العربية ، وإنما أخذ ترجمة للقرآن وراح يوجد من الاعتراضات ما هو تافه للغاية ، وقد كشف الشيخ ثناء الله الأمر تسري عن حقيقة هذه الاعتراضات في كتابه « حق بركاش » .

وبالمناسبة سألت الناسك « البندت » عن قضية التناسخ ، فقال : إن روح الإنسان تتمثل حيوانات مختلفة من أجل الأعمال السيئة ، فهذه الكلاب والأفراس وما إليها من البهائم فيها أرواح من الإنسان ، أبدلها الله هذه الصور كعقاب على السيئات .

فقلت له : مثلا هذا الكلب الذي يقف في فناء بيتك الآن وأحلت فيه روح إنسانية كعذاب على المعاصي ، فهل هي تعرف أنها حلت في الكلب على كذا من المعاصي ! إني على يقين بأنها لا تعرف ذلك ، فهل من العدل أن يعاقب أحد على ذنب ما بدون اطلاعه على الذنب ؟ فهل تعتبر الإله عندئذ عادلا ؟ إذا كان المجرم لا يعرف جريمته فكيف يجوز أن يعاقب ؟

وبينما نحن كذلك إذ طلع الوالد ، فقال له الناسك : أظن أنه وقع خلل في رأس هذا الولد ، فقد بدأ يفكر بطريقة غير صحيحة لما عاش هذه المدة الطويلة مع المسلمين ، فأكد له الوالد : إني سأصحح مساره .

وفي إقامتي بجمون حدث وجع في رأسي ، وذهبت إلى دورة المياه وانتهزت الفرصة ، وكتبت رسالة إلى الشيخ عبد الرؤوف ، ولكن الوالد أخرجها من جيبي في الليل وأنا نائم ، ووضعها عنده ، ولما استيقظت ووجدت الرسالة مفقودة خفت أن تقع مصيبة جديدة .

الرحيل إلى « بهدرواه » :

وبعد يومين أفقت من الوجع ، فبدأ الوالد يستعد للسفر ، وفي الصباح ركبنا الباص إلى « بتوت » وكانت الطريق فيما بعد « جمون » جبلية وكان الشارع يصعد في الجبل ملتويا كالحية ، وكانت قمم الجبال ترتدي الملابس البيضاء من الثلج ، وكان المنظر جميلا جدا ، حيث الخضرة في كل مكان وكانت شلالات المياه تدوي في الوديان ، والطيور تغني في جنباتها وكانت ذرى الجبال تلمع من

خلال الأشجار الكثيفة المتنوعة .. منظر لا يمكن أن يصفه قلم ولسان .

لكن المنظر نفسه يكون مبعث قلق ووحشة لرجل حزين القلب ، حيث تشكل كل زهرة في الحياة شوكة له ، وكل زهرة تتفتح لتذكره بالحبيب وتزيد في خفقان قلبه وترقص أمامه ذكريات الماضي الأليمة ، والإنسان ضيق الصدر في الواقع فأفراح غيره تزيد آلامه وتنكأ جروحه ، وكانت تلك هي حالة قلبي ، حيث كادت حركته من خوف مبهم في قابل الأيام ، وكنت لا أعرف ماذا تضمر الأيام لي ، وكنت الآن في يد والدي وليس لي نصير إلا الله .. وقد تحولت مخاوفي إلى حقائق في المستقبل .

الوصول إلى قرية « بتوت » :

ووصلنا إلى قرية « بتوت » (BATOT) حيث قضينا الليلة .

وفي الصباح توجهنا إلى « بهدرواه » (BHADARWAH) التي تقع على نحو خمسين ميلا من « بتوت » والطريق بينهما كان يقطعها المسافرون مشيا على الأقدام ، وكانوا يتناولون البغال والأفراس لحمل العفش والأغراض دون الركوب فلم تكن الباصات تجري على هذه الطريق لحد الآن .. ففوضنا متاعنا إلى أحد أصحاب البغال الذين كانوا يقومون بمهنة النقل والحمل في هذه المنطقة ، ورحنا – أنا وأبي – مشيا على الأقدام ، وكانت الطريق خطرة حيث شقت في بعض الأمكنة بين الجبال أنفاقا ، وكان النهر يجري في حضيض الجبال فلو زلت قدم المسافر لما حجزه حاجز دون النهر .

وقطعنا حتى المساء مسافة ٢٢ ميلا واجتزنا الطريق الوعرة وقد أخذ مني التعب كل مأخذ ، وقضينا الليلة في قرية جامعة تتخلل الطريق وأخذنا طريقنا في الصباح الباكر ، وقد أعياني التعب بحيث إنني ما كنت أستطيع أن أخطو خطوة ، ولكن لم يكن لي بد من ذلك ، حيث كنت مرغما على متابعة الطريق ، وأمضينا الظهيرة على ماء ، ووصلنا مساء إلى بلدة قريبة من « بهدرواه » وأمضينا فيها الليلة ، وفي اليوم الثالث وصلنا إلى المنزل .

في « بهدرواه » :

وما أن وصل والدي إلى « بهدرواه » حتى قصد مقر « هري كرشن وشركته » (HARI KERISHN CO) وقدم تقريرا عن حضوره للعمل ، وأخبر مدير المقر بجميع أحوالي ، وسر الرجل بما علم من أن والدي سعيد بأنه وجد ابنه بعد أن فقده ، وأنه استصحبه وقضينا الليلة في مضيف الشركة .

نزهة الصبـــاح :

وصحوت من النوم ، فقال لي الوالد ، تعال معي إلى ماء فرات قريب تغتسل ، وصحبنا رجل كأنه ناسك هندوسي ، وأتينا إلى الماء فتشاغل الوالد والرجل بالحديث عن المحاكمات المتعلقة بي ، وقال لي الوالد : اذهب وتنزه في المكان هنا وهناك ، فخرجت إلى مسافة غير بعيدة أتمتع بالمناظر الطبيعية التي غنى بها المكان ، ودعاني الوالد بعد نحو نصف ساعة : تعال ! .. ولما كنت عنده قال لي : هل ترى هذا النهر الذي يجري في قعر الوادي في عمق نصف ميل ، أريد أن أسألك عن أمور ، فلو كذبت لرميت بك إلى النهر ورجائي الأول والأخير منك أن تطهر قلبك وعقلك من القذارة .

جزاء اعتناق الإسلام :

قلت : قد سبق أن طهرت قلبي وفكري .. وقد أدرك الوالد مغزى هذا التلويح ، وما وسعه إلا أن أمسك بالقضيب ، وجعل ينهال به علي بصورة عشوائية حتى ألهب به جسمي وظهري ، وبدأت أصيح دونما جدوى . ولما أشبع رغبته في ضربي توسط ذلك الرجل ، ولكن الوالد دفعه في فورة غضب ، فأخذه منه الروع ، وقبع في زاوية .

وكان الوالد قد اشتاط اليوم غضبا ، وقد صدق من قال : « اتقوا غضب الحليم » وقد كنت تعرضت اليوم لغضب رجل حليم الطبع ، وكان مركز غضب الوالد فخذي وساقي .. وسال الدم من الفخذين حتى ابتل سروالي ، وخررت مغشيا علي ، فجعل ينهال علي بحذائيه يركلني بهما على وجهي وصدري ورأسي ،

حتى تفجر الدم من الأنف والفم ، ولما أشبع غضبه قال :روح يا كلب اختف من عيني ، وانبح حيث شئت .

وظلت ملقى على الأرض فقال : يا ابن الحرام أما سمعت ما قلت ؟ رح عني على الفور .. وقمت في صعوبة أي صعوبة ، ومشيت خطوات إلى جهة وأنا مسرور في نفسي أقول : إن الوالد قد ضاق بى نفسا حتى تركني على حالي وأنا إن شاء الله سأصل إلى بوجهال وألحق بأهلها المسلمين بصورة أو بأخرى .

ولم أخط إلا عشرين أو ثلاثين خطوة حتى هالني صوت مرعب مجلجل : يا كلب ! تعال أين تذهب ؟ .. وعدت أدراجي فقال : إنى أريد أن أنهي القضية اليوم للأبد ، فماذا ترى الآن ؟ ولزمت السكوت .. قال : لماذا لا تثرثر بفمك هذا ؟ ولم أحر جوابا ، قال : ابن الحرام لا يزال في قلبه زيغ ، ثم جعل يصب الصفعات على وجهي ، وكدت أخر على الأرض من شدة ما لاقيته ، ولكنه أمسك بى وقال : لم تعد تليق بى وبأسرتي فقد أخزيتني عبر أهلي وأسرتي وفي المنطقة كلها وفي المحاكم ، وأضعت من أجلك نحو عشرين ألف روبية وساومت عليك القاضي المسلم بعشرة آلاف ، فلن أدعك تعيش حياتك في راحة وسلام !!

وكان يشتعل غضبا ، وتقدم الي ودفعني في شدة وقال : ابن الحرام ! سأرمي بك في النهر حالا ، وتوسط الرجل المشار إليه سابقا وأخذ بقدميه وقال : أنشدك الله يا أخي لا تفعل ذلك ، إنه طفل غر سيدرك وعيه بعد قليل فارحمه باسم الإله ، ولو قذفته في النهر لكانت عاقبة ذلك وخيمة في حقكما معا ، ولا يغيبن عن بالك أنك جئت به معك على ضمان آلاف من الروبيات .

ولكن الوالد لم يكن ليستمع لرجائه ، فقال : إنى لا أدعه اليوم يبقى على قيد الحياة ، وسأجعله يذوق طعم إسلامه ، وهنا أمسك الرجل بقدميه وجعل يبكي ، فجلس على قطعة من الحجر ، وقال : لست الآن مسيطرا على عقلي فدعني أفكر قليلا في القضية .

إنابتي إلي ربي الكريم :

ووجدت أنا كذلك فرصة للتفكير ، فأنبت إلى ربي الكريم وقلت بلسان القلب : يارب إنك ترى ما أنا فيه من العنت والعذاب ، وحالي لا تخفى عليك ،

قد يقذفني الوالد حالا في النهر وتنتهي حياتي ولا أخاف الموت ، لأني بعد الممات سأحضر إلى جناب حبيبك سيدنا محمد ﷺ بهذا الجسم الجريح ، والوجه الملطخ بالدم والشفتين المتورمتين واللباس المبتل بالدم ، وأقول له في أدب جم : يارسول الله ! إني لم أخن شيئا من أمانة الإيمان التي أودعتني إياها ، إني رضيت أن أفقد حياتي مرميا في النهر ولكني ما رضيت أن يمس هذه الأمانة خدش ، وهذي فخذي الجريحة، وجسمي المتفجر بالدم ، ورجلاي وشفتاي المتورمتان كل ذلك ناطق بإخلاصى .. إني وإن كنت طفلا صغيرا ولكن العطف الذي غمرتني به يارسول الله تحت جدار الكعبة المشرفة قد أكسبني عزيمة صحابتك .. وإني لا أبالي شيئا أن يقذف بى والدي في النهر ..

وإذْ أنا في تفكيري النزيه هذا إذ خيل لي كأني قد رميت في النهر ، ووصلت أطفح على الماء إلى جناب سيدنا محمد ﷺ وعدت لا أبالي بالموت ، وقررت أني سأصدق القول ولا أكذب ولا أنافق جريا وراء المصلحة السياسية لأني سأعاني الندم عند حبيبي ﷺ .

مداواة الجروح :

تعال ! راعني صوت والدي الهائل .. قال : أنزع السروال وارتد هذا الإزار ، واغسل وجهك بماء هذا النبع ، وبدأ يباشر غسل السروال وتغير لون ماء النبع بلون الدم القاني .. وما أن غسلت وجهي حتى بدأت أشعر بألم شديد في الجروح ، وعدت إلى مضيف المقر المذكور حيث استقبلني طبيب قام بتضميد جروحي ، وأمرني أن أستلقي على الفراش وناولني الحبات المنومة التي جعلتني أنام فورا ، وبعد ما صحوت بعد ساعات ناولوني الحليب الساخن وهناك عادت الي بعض الراحة .

رسالتي إلى الشيخ عبد الرؤوف :

وعدت في الصباح أشعر بالإفاقة، وخف الورم في وجهي ، ولم يبق إلا جروح رجلي التي تبعث الألم الشديد .. وأحضر الوالد القلم والدواة والورق وجلس بجنبي وقال : خذ القلم واكتب ، قلت ماذا أكتب ؟ وبدأ يملي علي

فأمسكت يدي عن الكتابة ، فصفع وجهي صفعة شديدة دوت لها أذني ، وبدأت أكتب دونما تأخير ، وكان يملي علي الفقرات وكنت أكتب .

وكانت رسائلي موجودة عند الشيخ عبد الرؤوف ، وأثبت فيما يلي هذه الرسالة التي أملاها على الوالد للشيخ :

« الأستاذ عبد الرؤوف ! أعلم أني بفضل الإله قد عدت للدين الذي كنت قد مرقت منه ، إنه فضل من الإله دونما شك ، وقد كنت أفسدت علي روحي المقدسة .. ولا ترجونّ رجوعي بعدئذ ، وكان بوسعي أن أزج بكم جميعا في السجن ، ولكن كوني هندوسيا بعث في قلبي العطف عليكم ويجب عليكم أن تشكروا لي هذا العطف ، ولا تحاولوا بعد الآن أن تصرف هندوكيا عن دينه إلى الإسلام ، ولا أستطيع أن أشكر إلهي الذي خلصني من مخالبك والمطلوب منك الآن أن ترسل إلى بيتي في « مياني » كسائي ومعطفي اللذين تركتهما عندك ..

المرسل :
« كرشن لال – بهدرواه »

وأمرني أن أكتب العنوان على الظرف بيدي ، ثم ألقاه في صندوق البريد .

إلحاق بالمدرسة :

وبعد يومين أو ثلاثة أيام ذهب بى الوالد بعد ما أفقت جيدا إلى المدرسة العالية في « بهدرواه » وأحاط عميد المدرسة علما بأحوالي وقال : أريد أن ألحقه بمدرستك ، شريطة أن تتعاون معي ، وأن تفرض عليه حراسة كاملة وأن تمنعه تماما عن الاختلاط بالطلاب المسلمين .. قال العميد : إن هيئة التدريس في المدرسة مكونة من المدرسين الهندوس وحدهم وسأعقد جلسة للهيئة وأخبر المدرسين جميعا بالوضع ، إني في ثقة بأنهم جميعا سيولون هذا الولد رعايتهم وعنايتهم الكاملة .

وفي المساء اشترى لي الوالد الكتب والدفاتر والمواد الدراسية الأخرى اللازمة وفي اليوم التالي ألحقني بالصف التاسع في المدرسة ومن أجل العذاب

الشديد الذي لاقيته منه بدأت الحمى تنتابنى ، ومضت مدة أكثر من عشرة أيام وأنا أعاني من الانحراف الصحي ، ثم عادت إلي صحتي ، وبعد ما عوفيت كاملا جاء بي الوالد إلى المدرسة وأجلسني في الصف التاسع وكان عدد الطلاب في الصف يبلغ نحو أربعين طالبا ، كان منهم نحو عشرة مسلمين وسائرهم من الهندوس ولم يكن أحد يعرف قصة إسلامي سوى العميد والمدرسين .

ارتحال والدي إلى مكان شغله :

كان الوالد موظفا في الشركة في « بهليس » الواقعة بعيد ٢٢ ميلا من « بهدرواه » وكان ملزما بأن يعود لعمله على الفور ، فقرر أن يرتحل إلى « بهليس » في اليوم التالي ، وفي المساء ذهب بى إلى أحد أصدقائه المدعو بـ « نهال جند » الذي كان موظفا في نفس الشركة ، وكانت بينه وبين الوالد صلات ود عميقة ، وقال له : إني أريد أن أعود لعملي في الصباح من الغد وأحب أن أدع « كرشن لال » عندك في بيتك وسأدفع لك نفقاته كلها .. ورضي « نهال جند » أن أكون عنده وأسكن بيته ، ولكنه رفض أن يأخذ نفقاتي ، وقال : إن خدمة العزيز « كرشن لال » هى خدمة الديانة فى الواقع .. وتحدث الوالد مع « نهال جند » طويلا فى خلوة ، ولكنى لم أعرف حقيقة ما تحدث به .

نصيحة والدي عند الوداع :

وفي الصباح أيقظني الوالد مبكرا وقال : عد لرشدك بعد الآن وغير أحوالك ولاحظ عرضي وشرفي ولا تفضحني أمام هؤلاء في الغربة . تعامل مع «نهال جند» وأهله معاملة الأدب والاحترام ، حتى ينكشف له شرفك المتوارث ، وقد دفعت إليه مائة روبية لنفقاتك ، وأكدت عليه أن يطلب مني المزيد إذا احتاج إليه .

قلت : لا يشغلن بالك أمري ، وثق بأني سأكون عند حسن ظنك ، وأعمل نجابتي وحسن أخلاقي ، ولا يبلغك مني ما يؤذيك .. وكان الوالد قد

اشترى لي كتبا دينية وأكد على أن أدرسها وأتابع حضوري إلى المعبد الهندوسي كل يوم مع « نهال جند » ولكي أكسب ثقته قلت : نعم ..

وكنت قد لازمت السكوت فيما يتعلق بالدين منذ أن لقيت العقاب ، ورغم أن سكوتي كان مبنيا على المصلحة لأني لم أعد أطيق الضرب كل يوم ، إلا أن الوالد كان قد أيقن بأني عدت لرشدي بعد هذا القدر الكبير من الضرب الذي أوقعه بى ، وأكدت له أني سأتقيد بتوجيهاته ، وليس عليه إلا أن يستخبر « نهال جند » في شأني عن طريق المراسلة ..

بعد رحيل الوالـــد :

وارتحل الوالد إلى « بهليس » وهناك شعرت ببعض الطمأنينة ولكني لا أدري لماذا بدأت أشعر بألم نحو فراق أبى ، فقد كان يتمثل لدي وجهه الممتقع ، وكنت أرى أني أقلقته كثيرا ، وأنه أضاع من أجلي آلاف الروبيات ، وكانت تثور له عواطف الحب والعطف في قلبي ، وما كانت في قلبي عاطفة انتقام نحوه رغم العقاب الشديد الذي صبه علي فقررت أن لا آتي من الأعمال ما يمس كرامته هو .

ولكي أحقق قراري هذا حاولت أن أكسب ثقة « نهال جند » هو الآخر ، حتى لا يجد فرصة شكوى في شأني ، وحتى لا يثور في قلبه شك فيما يتعلق بالدين ، فلازمت الحضور في المدرسة ، وكان يلازمني في رحلة المدرسة هذه أحد أولاد « نهال جند » وزميل آخر في الدراسة ملازمة الظل ، وما كان يسمح لى بالذهاب إلى المدرسة والإياب منها منفردا ، ولا كان لي أن أذهب وحدي إلى أي مكان ، ولما كنت أذهب في أيام العطلة إلى السوق كان « بنّال لال » أو « بدري ناتها » يصاحبني بالتأكيد .

ولما كنت أرجع من المدرسة كانت فتيات من أقرباء « نهال جند » يغشين حجرتي دائما ، ويبدين حبهن وزينتهن لي ، ولكنهن لما بدأن يطعَنَّ في الإسلام كنت أخرج من الحجرة ، وأقول في نفسي : ما هذه الديانة التي يحاول أبناؤها إثبات أحقيتها بالتضحية بهوى الغانيات دون الأدلة الواقعية .. وإن جمال هؤلاء

الفتيات الفاتنات ، وإثارتهن للغريزة الجنسية والهوى الحرام ، لم يستطع أن يمحو الإسلام من قلبي ، وكن يقلن لى : إذا بدأت تكره الإسلام والمسلمين من قلبك فلك أن تتزوج من تختارها منا .. !!

وما كان « نهال جند » يعطيني النقود لاشتراء الحاجيات ، وإنما كان يشتري الشيء المطلوب من السوق بدوره ، وكان يوفر لي كل ما أحتاج إليه بالإضافة إلى الرقابة الشديدة التي كان يقوم بها في نشاط ويقظة لا مثيل لهما .

رسالتي إلى الشيخ عبد الرؤوف :

وأهم ما كان يهمني بعد رحيل الوالد أن أوجه رسالة إلى الشيخ عبد الرؤوف أزيل بها سوء الفهم الذي يكون قد نشأ عنده من الرسالة الأولى التي أرغمت على كتابتها ، غير أني ما تمكنت رغم محاولاتي الكثيرة من انتهاز فرصة في المكان الذي كنت نازلا فيه كى أكتب رسالة له ، فقررت أن أحقق إرادتي في المدرسة نفسها ، وخلال ذلك كان قد تم بيني وبين أحد الطلاب المسلمين تعارف مثمر ، كان اسمه « دوست محمد » (صديق محمد) ولكي أكسب تعاطفه قصصت عليه قصتي بفصها ونصها ، فأبدى استعداده للقيام بما أحتاج إليه من تعاون .. فكتبت الرسالة وحولتها لدوست محمد ليحولها هو للبريد .

وكانت الرسالة موجودة عند الشيخ أسوقها فيما يلي : « من بهدرواه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الشيخ عبد الرؤوف المحترم ! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أعلم أنه قد وصلتكم منى رسالة من قبل ، وأحلف بالله أنى ما كتبتها عن رضا منى وإنما أملاها على الوالد على الرغم منى وبالعقاب الذى أوقعه على ، فلا ترسلن كسائى ومعطفى إلى بيتى فى « ميانى » .

والحمد لله إني لا أزال على الإسلام ، وقد صبوا علي ويلات حتى أمرق من الإسلام غير أن ثباتي عليه لم يتزحزح شيئا بفضل الله .. وقد حاولت من قبل مرارا أن أكتب إليكم ، ولكني ما تمكنت من ذلك .. وألحقني الوالد هنا

بالمدرسة العالية ، وهو بدوره يعمل موظفا على مسافة ٢٢ ميلا من هذا المكان ، وإني آن شاء الله سأصل إليكم فرارا في سرية عما قريب ، وسأكتب لكم طريق الفرار في رسالة تالية ، وإني في عنت وعذاب في البعد عنكم ، وأرجو أن تدعو الله أن يسهل وصولي إليكم ، واقرءوا مني السلام على جميع الأحبة .. وعنواني كما يلي : (كرشن لال ، الصف التاسع بواسطة نهال جند – ميسرز هري كرشن ايند كمبني – بهدرواه ، كشمير) .

خادمكم

غازي أحمد المهتدي

أوضاع « بوجهال » :

ويحلو لي أن أعود بكم الآن إلى « بوجهال كلان » حتى تروا وجها آخر للصورة .. بعد ما غادرنا « جهلم » ظل أهل « بوجهال » المسلمون في عمى عن أحوالي : أين أنا ، وماذا أصنع ؟ .. وظلوا يذكرونني مدة ثم صمتوا ينتظرون ما ينتهي إليه الأمر ..

ولما وصلتهم الرسالة التي أرغمني الوالد على كتابتها قضوا من عجبهم ، وقرأها عليهم الشيخ عبد الرؤوف لما تجمعوا لصلاة العشاء فقال بعضهم : ياشيخ ! أما كنا نقول : إنه طفل صغير لا يستطيع أن يتحمل هذه المشاق في سبيل الدين ؟ .. قال الشيخ : إن أسلوب الرسالة يشف عن أنه لم يكتبها « غازي أحمد » وإنما أمليت عليه ، وإن فراستي تقول أنه لا يزال ثابتا على الإسلام لأنه اعتنقه بعد ما اقتنع به صادرا عن تفكير وروية فلن يرضى أن يحرم هذه النعمة .

ثم وصلت الشيخ بعد أيام رسالتي الثانية فطار فرحا ، وجمع الناس من ساعته وقرأها عليهم فغمرتهم موجات الفرح والطرب ، ثم قال لهم الشيخ : أما كنت أقول إن غازي أحمد ثابت على الإسلام ؟ .. وبموجب رسالتي هذه التي أشرت فيها إلى الفرار وقلت إني سأكتب عما قريب عن طريق الفرار بدءوا ينتظرون رسالتي اللاحقة .

الحديث عن « بهدرواه » :

والآن أحدثكم عن « بهدرواه » كانت هذه البلدة مركزا لجميع القرى حولها ، كان الناس يؤمونها لحاجياتهم ، وأقدر أن عدد سكانها كان نحو ثلاثة آلاف بيت ، ونسبة الهندوس فيهم كان أقل من النصف ، ولكنهم كانوا مسيطرين على التجارة ، وكانت الأغلبية المسلمة فقيرة تقوم بمهنة حمل المتاع على الرأس والعمل في الحقول والغابات ، وكانت في البلدة معابد هندوكية عديدة ومسجد واحد يشكو عدم رغبة المصلين ..

في المعبد الهندوكي :

حضرت يوما في المعبد الهندوكي امتثالا لأمر الوالد فوجدت فيه ستة أصنام منصوبة ، أحدها كان تمثالا لـ « شيوجي » وثانيها لـ « كرشن جي » وثالثها لـ « كالي ديوي » ورابعها لـ « هنومان » وكنت لا أعرف اثنين منها ..

ورأيت أن أتكلم معهم قليلا وقد حضرت إليهم في هذا المعبد فقلت : ملعون هؤلاء الذين صنعوكم بأيديهم ثم عبدوكم آلهة ، وسألوكم حاجاتهم حيث اعتبروكم أولياء أمورهم ، على حين أنكم لا تملكون لأحد ضرا ولا نفعا ، ثم أهديت لكل واحد منهم لطمة شديدة ، ورجعت ، ورأيت أنهم تحملوا ذلك في صمت لأن العظام همتهم عظيمة !!

وكنت أحافظ على الحضور في المدرسة ، وكان يصاحبني دائما « بنال لال » و « بدري ناتها » فما تمكنت من الاتصال بالطلاب المسلمين .

وأغلقت المدرسة لعطلة خمسة أيام ، وقد سبق أن جاءني أمر الوالد أن أحضر إليه في « بهليس » فذهبت إليها في مرافقة « بنال لال » في اليوم التالي للعطلة وكان والده هو الآخر موظفا فيها ، ووصلت إليها مساء ، فسر الوالد سرورا عظيما إذ رآني لما رجع من وظيفته ، فعانقني واستخبرني أحوالي ..

رسالة الشيخ عبد الرؤوف اليّ :

وفي اليوم الثالث للعطلة وصلت الرسالة الموجهة من الشيخ عبد الرؤوف لي ، إلى « بهدرواه » وأرسلها « نهال جند » مع شخص إلى « بهليس » ونزعها الوالد من داخل الظرف وقرأها ولكنه لم يفهمها ، فقال لي : انظر من هو مرسلها ! فقرأتها ثم أعدتها إليه قائلا : إنها غفل عن اسم الكاتب والمكتوب إليه ، وعن المكان الذي صدرت منه .. فقال : يبدو إنها جاءت من « بوجهال » وكيف أمكنهم أن يطلعوا على عنوانك إن كنت لم تكتب إليهم كتابا ؟ .. قلت : ربما حصلوا على العنوان من قرية « مياني » وسكت الوالد وحمدت الله أني لم ألق منه عذابا في هذه القضية .

وفي اليوم الرابع الذي عدت فيه إلى « بهدرواه » غمرني الوالد بكرمه لأنه ربما تأكد أني عدت لرشدي .. وما أن وصلت في المساء إلى « بهدرواه » حتى كتبت إلى الشيخ رسالة .

كتابي إلى الشيخ :

من « بهدرواه »

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الشيخ المحترم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كنت قد ذهبت إلى الوالد في « بهليس » وهناك تلقيت رسالتكم ، وكان من الخير أن لم تكن الكتابة واضحة ، فلم يفهم الوالد مغزاها ، ونجوت من المصيبة ، وأني قد أقمت صلة مع أحد الطلاب المسلمين في صفي ، فلا تكتبن في المستقبل رسالة على عنواني السابق ، واكتبن على العنوان الذي أثبته فيما يلي :

بهدرواه ، المدرسة العالية ، إمارة جامون ، الطالب دوست محمد الصف التاسع .. وإني في تفكير متصل في الفرار من هذا المكان ، وأرجوكم أن ترسلوا لي مائة روبية محولة على البريد، لأني لا أملك بيسة واحدة ..

والأحسن أن يأتيني أحد من « بوجهال » حتى أفر في صحبته ، لأن فتى في عمري لا يستطيع أن يقطع وحده هذه المسافة الشاسعة .. وأرجوكم أن تردوا على رسالتي هذه في القريب العاجل حتى أعلم ما ينبغي أن أصنعه ، لأني شديد القلق في هذه البيئة ، ورغم أني ثابت على الإسلام لحد الآن بفضل الله وكرمه ، ولكني محروم من الصلاة ..

خادمكم

غازى أحمد « بهدرواه »

كيفية أدائي للصـــلاة :

حقا لقد كان من غير الممكن في هذه البيئة أن أؤدى الصلاة ، فكنت أؤدي الصلوات الخمس كل يوم دون قيام وركوع وسجود .. والحقيقة أني وجدت في تلك الصلوات من معاني الرقة والخشوع والخضوع ما لا أجده اليوم في هذه الصلوات التي أؤديها في حرية ، وما أضعت صلاة حتى لدى إقامتي عند الوالد عبر الأربعة أيام ، ولكني آسف جدا على المسلمين الذين يعرضون عن ذكر ربهم رغم جميع التسهيلات والفراغ .. وكان من فضل الله أني ما تركت صلاة حتى في تلك البيئة الخانقة الحانقة ، واني لعلى يقين كامل بأن الله العظيم الجليل الرحيم الكريم قد قبل مني تلك الصلوات التي أديتها فى غير وقتها وبدون ركوع وسجود .

المحافظة على الصلاة :

ولما فررت من كشمير ، وتخلصت من مخالبهم ، أديت جميع الصلوات التي فاتتني عبر هذه المدة ، حتى لا تبقى علي صلاة ما أديتها .. وأحمد الله أنه ليست علي صلاة منذ ٤ / مارس ١٩٣٨ م لحد الآن وأنا أكتب هذه السطور ، وأسأل

الله أن يوفقني إلى هذه المحافظة على الصلاة في قابل الأيام في حياتي .

أوضاع « بوجهـــال » :

ولما وصلت الشيخ رسالتي الثانية جمع الإخوان واستشارهم وقال لهم : إذا أردنا فنحن نستطيع أن نرسل لغازي أحمد روبيات كثيرة محولة على البريد ، ولكن ذلك وحده لا يعطي ثمرته المطلوبة ، لأن فتى صغيرا غرا مثل غازي أحمد لا يمكنه أن يقطع هذه المسافة الشاسعة وحده ، فالأحسن أن نبعث منا رجلا مجربا كيسا يصاحبه في رحلته هذه الطويلة .

وبدءوا يفكرون فعلا في انتقاء رجل منهم يكون على هذه المواصفات ، ويقوم بهذه المسئولية مغامرا بنفسه ، فقد كانت المسافة طويلة والطريق وعرة ، والإمارة هندوكية ، وكان خطر الاعتقال موجوداً في كل خطوة ، والرحلة محفوفة بالمشاق والصعوبات ، وربما كانت العودة منها مع السلامة غير مرجوة ، وأشار الشيخ إلى هذه الأخطار كلها وقال : ليعلمن كل من يرشح نفسه لأداء هذه المسئولية السعيدة أنه سيواجه هذه الأخطار بالتأكيد ، وأنه لا يمكنَ أن يقوم بها إلا إذا عزم على أن يخاطر بنفسه ..

تضحية « صوفي جان محمد » :

ونهض « صوفي جان محمد » من ساعته ، وقال : أيها الشيخ : إني أرشح نفسي لهذا العمل العظيم الذي يحتاج فيه المرء إلى الجهاد .

من هو صوفي جان محمد :

كان صوفي جان محمد من سكان « بوجهال كلان » وكانت مهنة أسرته منذ القدم هي الحلاقة ، إلا أنه تركها إلى مهنة تصليح الدراجات ، وظل يساعدني في جميع المحاكمات التي فرضت علي في سبيل الإسلام ، وانشغل عن مهنته في قضيتي هذه بغية إعلاء كلمة الإسلام ، ورغم أنه يشكو قلة ذات اليد إلا أنه يرضى في كل وقت ان يضحي بنفسه في سبيل الدين والعقيدة ، وكان يحن إلى حج بيت الله حنينا لا يوصف ، وأخيرا عزم يوما على أن يغادر بيته

للحج، واستقرض من صديق له خمسا وعشرين روبية، ووصل إلى مدينة « كراتشي » بحيلة أو بأخرى وصار فيها موظفا في الشركة الوطنية للشحن بالسفن (SHIPPING CORPORATION NATIONAL) وقد تشرف لحد الآن بفضل من الله بتسع حجات وبعمرات كثيرة ، وإني اتضرع إلى الله عز وجل أن يغدق عليه الحسنات في الدنيا والحسنات في الآخرة ، لأن مثل هذا المجاهد والأخ المخلص الصديق لا يستطيع المرء أن يحصل عليه في سهولة ، وقد وجدت فيه أبا عطوفا .

أقرباء صوفي يمنعونه عن الرحلة الخطرة :

ولما علم أقرباء « صوفي جان محمد » أنه عازم على الرحلة إلى كشمير ، توافدوا إلى بيته ، وقالوا له بصوت واحد ، ألا تعلم أن المنطقة التي تعزم على الرحلة إليها إمارة هندوسية ، وأن المسلمين يعيشون حالة اجتماعية واقتصادية سيئة للغاية ، فإذا تمكن الهندوس منك – لا قدر الله ذلك – فسيكون ذلك نهاية لحياتك ، ثم إنك جاهل بالطريق ، وهي محفوفة بالأخطار والوعورة والصعوبات وذات منعطفات كثيرة ، فلو ضللتها – لا سمح الله بذلك – لكنت لقمة سائغة للسباع في الغابات التي تتخلل الطريق . ثم إن غازي أحمد في حوزة الهندوس ولا يمكن تخليصه من مخالبهم ، وعلى ذلك فإن هذا العمل مصيره الفشل ليس إلا ، فلماذا تريد أن تضيع حياتك في غير جدوي ؟

واستمع صوفي جان محمد إلى مقالتهم ، فما كان منه إلا أن قال بالحرف الواحد : إني لن أمتنع عن الذهاب إلى كشمير حتى لو فقدت حياتي أو قتلت ، أو أحرقت حيا ، لأني إنما عزمت على هذه الرحلة ابتغاء وجه الله وحده ، واعلموا أن مساعدة غازي أحمد مسئولية مقدسة في عنقي فلو تقبل الله عز وجل مني هذه التضحية الحقيرة بحياتي في سبيله لما كانت لي سعادة أفضل منها ..

ولاشك أن الإسلام بقي عبر التاريخ الطويل سالما غير مخدوش وكاملا غير منقوص بتضحيات أمثال هؤلاء المخلصين الصادقين ، بينما شوهت الديانات الأخرى أو اندرست على مر الأيام ، لأنها لم تسعد بالمخلصين المضحين في سبيلها مثلما حظى الإسلام ، ذلك الدين الذي ارتضاه رب العالمين لعباده ، اللهم ارحم هؤلاء المخلصين وأعظم أجرهم .

وعلى كل ، فقد جاء الشيخ عبد الرؤوف بخريطة كشمير ، وبحث فيها عن « بهدرواه » وأعطى هو و « صوبيدار خان زمان » و صوفي جان محمد » تعليمات في ضوء الخريطة ، ودلاه على موقعها والطرق المؤدية إليها ، وهيأ له صوبيدار خان هذا زاد السفر .

صوفي جان يتوجه إلى « بهدرواه » :

وارتحل صوفي جان محمد إلى كشمير ، متوكلا على الله عز وجل ، وسوّى قبل ذلك معاملته مع الناس ، فقد لا يعود إلى « بوجهال كلان » حيا ... وما أنبل العواطف التي كانت تموج في قلبه ، والتي هي منارة ضوء لكل المسلمين ..

وقبل أن يبدأ رحلته في الصباح الباكر ، حضر إلى أمه وطلب منها أن تعفو عن تقصيره في حقها .. يا أماه ! قد لا أعود حيا إليك ، فألتمس منك أن تصفحي عن تقصيري ، فدعت له – وعيناها مستعبرتان – بالعودة مع السلامة .. ثم حضر إلى الشيخ عبد الرؤوف ليسلم عليه سلام الوداع ، ومضى في سبيله واثقا من نصر الله .

أوضاع « بهدرواه » :

ويحلو لي أن أعود بكم للحظات إلى وضعي في بهدرواه ... لقد كنت قلقا جدا ، حيث لم أتلق من الشيخ عبد الرؤوف ردا على رسالتي الأخيرة التي وجهتها إليه ، والانتظار كما يقولون أشد من الموت ، وكنت أعيش ليل نهار في هذا القلق ، وكنت أخاف أن يطلع أقربائي في قرية « مياني » على الرسائل التي وجهتها إلى الشيخ عبد الرؤوف وهذا يعنى أنى لن أتمكن من الهروب من هذا المكان للأبد .. وكنت لا أجد طمأنينة في هذه البيئة الهندوسية ، لأن الغذاء هو الآخر كان مشكوكا في طهارته ، غير أنه لم يكن هناك بد من تناوله .

تكرار قراءة أسماء الله الحسنى :

وكنت ألجأ عندئذ إلى ما كان قد أشار علي به الشيخ عبد الرؤوف منذ اليوم الأول ، وهو قراءة الأسم الإلهي « يا ألله يا سلام » وأسماء الله الحسنى التي كنت أداوم عليها والتي كنت أؤمن أن مصائبي كلها ستنتهي ببركتها .. وقد لمست بركة قراءتها في حياتي العملية مرات لا تعد ، وكان هذا الإسم المقدس ملجأ لي في كل نازلة ، وللقراء الكرام أن يتمتعوا هم ببركته كذلك ، وأدعو الله أن يرفع عنهم كل كربة ويزيل عنهم كل مصيبة .

بداية السفر :

وبدأ صوفي جان محمد رحلته من محطة « لله » ووصل إلى « جامون » عن طريق « سيالكوت » و هناك سأل الناس عن طريق « بهدرواه » فقالوا له : إنك ستقطع الطريق إلى « بتوت » بالباص ومنها إلى « بهدرواه » إمامشيا على الأقدام أو على بغلة ..

وعلى كل فقد وصل إلى بتوت ، وأخذ من هناك بغلة بالأجرة وركبها إلى « بهدرواه » وقضى الليلة في قرية « كهلياني » ووصل من الغد إلى « بهدرواه » وكان سكان « بهدرواه » موزعين في قطاعين : « بهدرواه نكر » و « بهدرواه » .. وكان « دوست محمد » من سكان « بهدرواه » وكنت نزيلا في « بهدرواه نكر » .

الوصول إلى « بهدرواه » :

وجاء في المساء إلى مسجد في « بهدرواه نكر » وسأل الناس عن عنوان « دوست محمد » فأخبروه أنه يسكن في القطاع الآخر ، وأنه لا يحسن أن يذهب الآن- يبحث عنه لأن الوقت وقت المساء ، فليقض الليلة في المسجد وليقابله في الصباح في المدرسة التي يتعلم فيها .. وما إن فرغ من صلاة الفجر حتى ارتحل إلى « بهدرواه » حتى يتمكن من لقياه في بيته ، وكانت المسافة بين « بهدرواه »

و « بهدرواه نكر » نحو ميل فوصل إلى بيته قبل طلوع الشمس ولكنه لم يكن موجودا في بيته ، واستقبله أخوه الأكبر ، وسأله : من أنت وما الذي أقدمك ؟

قال صوفي جان محمد : أتيت من مديرية « جهلم » في « البنجاب » وأريد مقابلة الأخ « دوست محمد » .. وتحير أهل « دوست محمد » كثيرا إذ رأوا غريبا جاء من هذا المكان البعيد ، يريد مقابلة « دوست محمد » لماذا ؟ .. وبينما هم في تعجبهم هذا ، جاء « دوست محمد » .. وقص عليهم « صوفي جان محمد » قصته ، فزالت عنهم الحيرة .

فقال له « دوست محمد » : إن « كرشن لال » من معارفي ، ولم يحضر إلى المدرسة منذ ثلاثة أيام ، وربما يكون قد لحقه مرض فقلق « صوفي جان محمد » جدا ، وجعل يفكر في حزن فما الذي يفعله إذا لم يحضر « غازي أحمد » إلى المدرسة ؟ .. وقال لـ « دوست محمد » : أنا أنتظرك خارج المدرسة ، وأنت تخبرني بما إذا كان قد حضر غازي أحمد إلى المدرسة أو لم يحضر.

وحضرت إلى المدرسة فقال لي طالب : إنه جاء صديق لك من مديرية « جهلم » فسألته عن اسمه ، ولكنه ما كان يعرفه ، وجعلت أنتظر « دوست محمد » بفارغ الصبر ، وما إن حضر إلى المدرسة حتى أخبرني بقدوم « جان محمد » وما إن علمت ذلك حتى بدأ قلبي يخفق في سرعة ، وأخذتني الرعدة ، ولم أدر لماذا حدث ذلك ..

اللقاء مع صوفي جان محمد :

قال لي دوست محمد : إنه جاء ليذهب بك إلى « بوجهال كلان » وينتظرك الآن خارج المدرسة تحت ظل هذه الشجرة .. وانتهزت فرصة العطلة التي كانت تتوسط ميعاد الدراسة في المدرسة بحيلة أني سأشترى من البائع الجوال بعض ما يشتريه منه الطلاب في سني من المأكولات والحلوى .

فإذا بى أرى صوفي جان محمد جالسا في ناحية ، فقلت في اللغة البنجابية : احترس من مقربتي ومن مصافحتي ومن السلام علي حتى لا يفهم أحد ما بيني وبينك » وكان بدوره قد قرر من قبل أن لا يقابلني ولا يصافحني مخافة أن يدرك

أحد أمرنا الذي نحن فيه .. قلت له : إنني الآن راجع إلى الدراسة ، وسأنتهز فرصة النزهة التي تعطيها المدرسة الطلاب ، لكي أخرج منها في سرية ، والذي يجب أن تصنعه الآن ، هو أن تجلس وجهك في الجهة المعاكسة لهذا الجدول الذي يجري أمامك ، أما أنا فسأخرج من المدرسة في الفرصة المتاحة ، وأجلس على الطرف الآخر من الجدول . ووجهي إلى جانب المدرسة ، ونتشاور عند ذاك فيما يتعلق بأمرنا .

على كل فقد وصل إلى المكان المحدد ، وحضرت أنا في الميعاد وتحدثنا وكل منا ظهره للآخر .. قال صوفي جئت لأصحبك إلى « بوجهال كلان » حسب ما كتبته في الرسالة التي وجهتها للشيخ عبد الرؤوف ... قلت له : أما الآن فلا مجال للرحلة بعد انتهاء موعد الدراسة ، ولكن الغد هو يوم الأحد الذي تكون فيه المدرسة فى عطلة عامة ، ولكني غير مسموح لى بالخروج فيه من البيت ، أما يوم الإثنين فيمكن أن نخرج فيه للمدرسة ، فأفر معك .. ولكنه قال : اللازم أن تذهب دونما تأخير ، لأن أقرباءك في « ميانى » إن علموا بمقدمي إلى هذا المكان فسيخبرون المسئولين عنك في هذه البلدة ، وهناك يصعب عليك أن تذهب معي ..

قلت : إن الطريق الذي يمر بقرية « بتوت » خطر جدا وتسهيلات التلغراف متوفرة فيها ، وأخاف أن يخبر الهندوس من أقربائي وأصدقاء أبى الشرطة فيها بشأننا قبل وصولنا إليها ، ويلقي القبض علينا ، وتتبخر أحلامنا .. قال : لا يشغلك أمر الطريق ، لأن المسلمين ههنا قد دلوني على طريق مأمون من جميع الأخطار ، ثم فإني قد أخذت دليلا بالأجرة ، وكلفته أن يوصلنا إلى خارج حدود كشمير من طريق مأمون وأنا ذاهب الآن إلى المدينة ، والمطلوب منك أن تحضر في مسجد السوق فور انتهاء ميعاد الدراسة بعد أن تضع حقيبتك في بيتك .. قلت لن يسمح لى بالخروج من البيت إذا دخلته لأضع حقيبتي ، قال : اصنع ما تراه حسنا والمهم أن تصل إلى المسجد .

الفرار من « بهدرواه » :

ودق الجرس إيذانا بانتهاء فرصة النزهة ، ونهض صوفي يتوجه إلى المدينة ،

وبقي هناك شوط أخير أقضيه في المدرسة ، وعدت إلى رئيس هيئة التدريس ممتقع الوجه مقطب الجبين أقول : سيدي ! أشعر بوجع شديد في بطني لا أستطيع أن أتحمله ، فأرجوك أن تسمح لي بالذهاب إلى البيت ، وسمح لي بذلك ، وخرجت من المدرسة مختفيا عن أنظار زملائي من الهندوس ، ووصلت إلى المكان المحدد ، وكان صوفي موجودا مع دليله ، وكان الوقت وقت العصر حين خرجت هذه الجماعة المكونة من ثلاثة أشخاص متوكلة على الله ، إلى المنزل المقصود ، وكانت الوجوه صفراء من الخوف ، وكانت القلوب قد بلغت الحناجر ، وكانت تخفق خفقانا شديدا ، وكانت الأقدام تحجم عن الإقدام من شدة الخوف كأنها مثقلة بالقيود .

وكانت وجوهنا تشف عن الخوف في قلوبنا ، ومما كان يزيد الطين بلة ملابس الهندوسية التي تبعث الناس على الاستغراب والتساؤل : إلى أين يذهب هذا الفتى الهندوسي مع هذين المسلمين .

وجاوزنا المدينة ونحن في هذه الحالة ، فقال لي دليلنا : لماذا تخاف أنت هذه كأنك مجرم تفر تخلصا من عقاب الجريمة ؟ قال صوفي : سأخبرك بأمرنا بالتفصيل في المرحلة الآتية : وشعرنا ببعض الطمأنينة بعد ما اجتزنا المدينة ، وبعد كل عدة خطوات كنا نلتفت إلى الوراء وهناك قال لنا الدليل في لهجة صارمة : لن أخطو بعد الآن خطوة حتى تخبرانني بحقيقة الحال ، واضطر صوفي أن يحكي له القصة فاطمأن .

..وطلبنا منه أن يسير بنا خطوات سريعة حتى نصل قبل غروب الشمس وكان بيته على مسافة ١٣ ميلا من « بهدرواه » في الغابة في الجهة التي كنا نسير إليها ، فوصلنا إلى بيته بعد مغرب الشمس بوقت كثير ، وأمر امرأته بإعداد الطعام وأكلنا الخبز الطازج بالحليب والعسل ، ولما سأله صوفي عن سعر العسل في منطقته قال ٦ كلوات بروبية .

الليلة الأولى بعد الفرار :

كانت في بيته فتحة في الجانب الذي أتينا منه ، وكلما كان يلوح لنا ضوء من بعيد ، كنا نظن أنه قد أتى أحد يلاحقنا من « بهدرواه » غير أن مضيفنا كان

يطمئننا ، ورأينا مرة ثلاثة أضواء تتحرك في مكان واحد ، فتأكدنا أن أصحابها يتتبعوننا ، قلنا لدليلنا : لابد أن نهرب من هذا المكان فورا ها هم أولاء قد لاحقونا قال : إنهم على طريق غير الطريق الذي قطعناه ، وإنهم عائدون إلى بيوتهم من الشغل .

كان صوفي قد اتفق مع الدليل – وكان اسمه « خطو » أن يوصله إلى مسافة ٢٠ ميلا من بهدرواه وكانت حدود إمارة « جامون » تنتهي بعد هذه المسافة ، وتبتدئ إمارة « جنبه » .

قالت زوجة « خطو » مخاطبة زوجها : يبدو أن هؤلاء قد هربوا من مكان لأنهم يلتفتون إلى الطريق مرة بعد أخرى بنظرات خائفة مشبوهة .. وهناك حكى (خطو) لزوجته قصتي من البداية إلى النهاية ، فسرت كثيرا وطلبت مني الدعاء .

ولما فرغنا من العشاء طلبنا من « خطو » أن يسير بنا من بيته إلى مكان آخر مأمون من الخطر نبيت فيه ، فقال : إن الطريق أمامنا محفوفة بالأخطار ، فهي تمر بالثلج وتتخللها الغابات التي فيها السباع الضواري ولن يصل إلينا أحد ههنا في الليل ، وسنخرج إن شاء الله في الهزيع الأخير من الليل ، وهناك تشدد صوفى فى الكلام مع « خطو » فقالت زوجته : إن هذين المسكينين يستشعر أن أن الخطر ههنا ، فاذهب بهما إلى قريبنا الفلان ، واقضوا الليلة في بيته ، خرج بنا « خطو » من بيته رغما منه وكانت الطريق جبلية وتصعد في الجبل عموديا ويتخللها الثلج ، والجو بارد جدا ، ورغم ذلك كنا نتصبب عرقا ، ووصلنا إلى بيت على الجبل على ارتفاع ميلين ، ووجدناه مأمونا إلى حد ما ، فبتنا فيه الليلة وخرجنا منه في الصباح الباكر ، وقطعنا نحو خمسة أميال قبل مطلع الشمس ، وكنا نزداد طمأنينة كلما نزداد قرباً من حدود إمارة « جنبه » .

قال خطو : إن هذه الطريق مأمونة جدا وقل من يعرفها من أهل « بهدرواه » !

بداية حدود إمارة « جنبه » :

ولما وصلنا حد إمارة « جنبه » استأذننا « خطو » للعودة ، فطلبنا منه أن يسير بنا نحو ميل أو ميلين ، ثم يعود ، لكنه امتنع ، وقال إنى مضطر أن أصل اليوم إلى « بهدرواه » لأن لي هناك عملا ملحا .. وقد دلنا « خطو » على انتهاء جميع القرى المتخللة طريقنا والمسافة الواقعة بين كل قرية وأخرى ، فسجلنا ذلك فى ورقة ، ثم عانقنا وودعنا وهو يطلب منا الدعاء .

اليوم الثاني بعد الفرار :

ومضينا في الطريق واثقين بالله ، وكنا نرى بيوت المسلمين بعد مسافات قليلة ، وكان صوفي يقول لكل من يلقاه من هؤلاء المسلمين بعد ما يعرفه بى : إذا سألك أحد من الهندوس عنا ، فقل له : لم يمر أحد بهذه الطريق .. فكان يطمئننا ، ونمضي في طريقنا .

وما أن مضينا قليلا حتى بدأت الطرق الثلجية ، وكانت تتفجر منها ينابيع الماء البارد بعد كل مسافة قليلة ، وكانت ذرى الجبال تبدو بيضاء من الثلج ، وكانت الغابات لا داعي فيها ولا مجيب ، وكانت الطريق خطرة ، وكانت تتلوى كالحية وسط الجبال ، وتتخللها سلالم نحتت في الجبال ، وكنا نخاف أن تزل عليها أقدامنا ، فنهوي إلى الحضيض وقد واجهنا في مكان فتحة في الثلج المكثف ، سدت بخشبة عريضة شكلت قنطرة ، وعبرها صوفي أولا ، ثم بدأت أعبرها فتزحلقت الخشبة ، وكدت أسقط إلى القعر ولولا أن أمسك صوفي بيدي في سرعة ذكية ، لكان ذلك نهاية حياتي .

وقطعنا مسافة ثلاثين ميلا قبل أن تزول الشمس ، وبدأت أشعر بشدة الجوع من المشي الطويل المرهق ، ولكننا لم نجد شيئا سوى الماء ، وبينما نحن كذلك إذ وقع نظرنا على دكان في جانب الطريق فاستبشرنا ، ولكننا ما وجدنا فيه سوى السكر الأحمر الذي قنعنا به وأخذنا طريقنا .

وكان هناك قرية اسمها « سندلا » على مسافة ٢٢ ميلا من المنزل الذي

قضينا فيه الليلة الأولى من الفرار .. وظلنا نجد السير حتى العصر مخافة أن يلاحقنا أحد من الهندوس ، غير أني عدت الآن أفقد كل ما عندي من رصيد الهمة ، وطلبنا من خيَّال أن يبلغنا « سندلا » فطلب أن ندفع له أربع روبيات مقابل عشرة أميال يقطعها بنا إلى « سندلا » وأنه لا يصل بنا إليها إلا في المساء وانتظرنا نحو نصف ساعة حتى نجد خيَّالا آخر ، ولكننا لم نجد أحدا غيره ، فطلبنا إليه مرة ثانية ، فقال : الآن وقد قربت المساء لا يمكنني أن أحملكم إلى « سندلا » .. وتضايقنا من سلوكه جدا ومضينا في الطريق نصب عليه اللعنة ، حتى لا يفاجئنا أحد من ورائنا ، وكنا نمشي متخاذلي الخطو جدا من شدة الجوع والإعياء، فما قطعنا بعد ذلك حتى المساء إلا نحو ثلاثة أميال وبصعوبة غير قابلة للوصف ، وسألنا رجلا عن المسافة الباقية بيننا وبين « سندلا » فأجاب ، إنها تقع رأسا على الطرف الآخر من هذه المرتفعات ، وأغذذنا في السير ، وقد بلغ منا الإعياء كل مبلغ ، وكنا نخاف السباع في هذه الغابات الواسعة وأرهقنا السير الطويل ، ولكن المنعطف الجبلي ما كاد ينتهي ، ووصلنا إلى الطرف المشار إليه من الجبل ، فبدت لنا قرية متواضعة ، ووقعت أنظارنا على رجال ونساء من الهندوس ، وسألناهم هل نجد سررا لنقضي الليلة ، وسألناهم هل هي « سندلا » فقالوا : لا ، إن « سندلا » هي القرية القابلة ، التي تبدو مساكنها من هنا ، ووصلنا إليها ونحن غير مسيطرين على قوانا وتفكيرنا ، وسألنا عن المسلمين في القرية ، قالوا : كان هناك مسلم واحد ، ولكنه مات في العام الماضي ، ولكن انزل إلى القطاع السافل من القرية تجد هناك سررا لقضاء الليلة ، من صاحب دكان ، ووصلنا إلى صاحب الدكان ، وطلبنا منه السرر ، فقال : لا يوجد عندي سرير ، ولكني سأمنحكما ثلاثة أحلاس تبسطانها على الأرض ، وطلبنا منه الدقيق فقال لا يوجد عندي إلا الرز .

الليلة الثانية بعد الفرار في قرية « سندلا » :

أخذنا من صاحب الدكان أواني الطبخ ، ووضعنا الرز على النار وكان صوفي هو الآخر غير خبير بالطبخ ، فأوقد النار شديدة واحترق الرز في قعر القدر ، بينما لم ينضج ما كان منه في سطحها ، ولكننا تناولنا منه لقيمات على غصص ، وكان صاحب الدكان قد طلب منا أن نغسل أوانيه بأيدينا ،

وما كنت أجد في نفسي القدرة على أن أتولى عملية تنظيفها ، فقد كنت مكدودا للغاية ، إلا أن صوفي قد صحا من النوم مبكرا وقام بهذه المسئولية في الغلس مخافة أن ينبلج نور الصباح ويتوسم صاحبنا أننا مسلمون ، فيستوفي منا ثمن الأواني لأنها تكون قد فسدت وتنجست بمسنا نحن المسلمين !

مغادرة « سندلا » :

وغادرنا هذه القرية وصاحب الدكان يغط في النوم ، وكانت قدماي قد تورمتا ورجلاي صارتا مثقلتين من شدة التعب والألم ، وصار جسمي كله منهكا ، وسرنا حتى المساء نحو خمسة أميال فحسب في صعوبة لا يعلمها إلا الله ، وكنت أجلس بعد كل ميل أستجم وأرفض أن أمشي ، ولكن « صوفي » كان يشجعني فأنهض أسير متخاذل الخطو متهافتا .

الليلة الثالثة بعد الفرار في « باتهري » :

في المساء وصلنا قرية « باتهري » وتمكننا بعد جهد كبير من أن نطلع على بيت أهله مسلمون ، غير أنهم رفضوا أن يستضيفونا ، فعدنا أدراجنا إلى السوق ، وأخذنا من حلواني هندوسي مأكولا مصنوعا من عجين الحمص مقليا في الزيت يقال له في شبه القارة الهندية « بكورا » (PAKAURA) وكان قليلا جدا لا يعدو قدر ربع كيلو ، فلم يغننا من الجوع .

الوصول إلى « دهوزي » :

كانت هناك قرية اسمها « دهوزي » على مسافة خمسة أميال من « باتهري » وكان من المقرر أن نركب منها الباص ، و « دهوزي » هذه مكان صحي جميل ، وبتنا الليلة وما أن استيقظنا حتى طلبت إلى صوفي أن يوفر مركبا فاني لا أستطيع أن أخطو خطوة بصورة من الصور .. وبذل كل محاولاته من أجل أن يجد مركبا ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فمشينا حيث لم نجد بدا من المشي ، وكانت كل خطوة من الخطوات التي أخطوها ألما وعذابا ، ولكننا بفضل من الله وحده وصلنا في الظهيرة إلى « دهوزي » وقد بلغ مني الإعياء والجوع والاضمحلال كل مبلغ .

فى « أمريستار » :

وركبنا من دلهوزي الباص إلى « بتهانكوت » ومنها إلى « أمريتسار » وتوجهنا توا إلى مطعم حيث أشبعنا جوعنا الذي كاد يأتي علينا منذ ثلاثة أيام ولياليها .

وكانت رحلتنا من « أمريستار » إلى البيت تحتاج إلى التفكير ، وكان هناك طريقان معروفان ، طريق « جكوال » وطريق « محطة لله » وكانا محفوفين بالخطر ، حيث كنا متأكدين من أن والدي سيكون قد أبرق إلى سلطات الأمن في المكانين ، ومن المؤكد أنها ستلقي علينا القبض ، فقررنا بعد روية أن نصل إلى « بوجهال » عن غير هذين الطريقين المعروفين المسلوكين في الأغلب ، وكان هذا الطريق الثالث في نجوة من الأخطار إلى حد كبير .

مغادرة « أمريستار » :

على كل فقد ركبنا من « أمريستار » قطار إلى « لاله موسى » وبتنا الليلة على المحطة ، ووصلنا من الغد إلى « كهيوره » ضحى ، وكان فيها أحد أقرباء صوفي ، وكان يعمل بوظيفة من الوظائف فذهبنا إلى بيته ، وتناولنا عنده الغداء ، ثم ذهب صوفي يبرق إلى أهل « بوجهال » بأننا واصلون إليها غدا بإذن الله .

مغادرة « كهيوره » :

ومن الغد اتجهنا من « كهيوره » بالباص إلى « جو آسيدن شاه » حيث ركبنا باصاً آخر إلى « كلركهار » وكنا نخاف فيها الشرطة ، ولكن الله سلمنا .

« بوجهال » تستعد لاستقبالنا :

ولما وصلت البرقية – التي أرسلها صوفي – السيد صوبيدار خان زمان ، نادى في المدينة أن صوفي جان محمد وغازي أحمد عائدان اليوم ضحى إلى مدينتكم ، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها رجالا ونساءً وشبابا وشيوخا وأطفالا إلى موقف السيارات ، وما كانوا يرجون أن غازي أحمد سيعود

مرة ثانية ، أو أن صوفي جان محمد يعود إليهم حيًّا ولما تأخر وصول الباص إلى المدينة ازدادوا شكا .. حتى قال السيد صوبيدار خان : أخاف أن تكون البرقية خداعا أريد من ورائها اخجالنا وتحميقنا ، وقال بعضهم : إن الباص هو الأخرى قد تأخر جدا ، وربما تكون الشرطة قد ألقت عليهما القبض في « كلركهار » .. وفعلا اتجه الناس إلى « كلركهار » حتى بدا لهم الباص من بعيد ، وكان صوفي على سطحه فلما رأى الناس محتشدين جعل يرفع العلم الذي كان قد أعده في « كهيوره » وكان مكتوبا فيه « نصر من الله وفتح قريب » ولما قرب الباص تأكد الناس من وصولنا ودوى موقف الباصات في « مياني » بالله أكبر ، وأوقفوا الباص في « مياني » وأنزلوني .

في موقف الباصات في « مياني » :

موقف الباصات في « مياني » يبعد عن « بوجهال » بميلين ونصف ميل ، وما إن نزلت من الباص حتى تهافت علي الناس يسلمون علي ويصافحونني ويعانقونني ، واستمر ذلك نحو ساعة ونصف ساعة ، ثم أركبوني على حصان ، وبدءوا يضعون في عنقي قلائد الروبيات من طوائف مختلفة ، مما أثقل عنقي ، ثم توجه هذا الحشد العظيم إلى « بوجهال » .

وكان الطريق الممتد على ميلين ونصف يموج بالأناسي وكأن كل حي « بوجهال » قد خرج من بيته ، وكان سكان قرى مجاورة ينضمون إلى الموكب ، وكان حماسهم يعكس بصورة صادقة ما تنطوي عليه قلوبهم من العاطفة الإسلامية ، وكان البشر يطفح على وجه كل واحد منهم وكل منهم يمتلىء إخلاصا .

ووصل الموكب – وهو يزحف زحف المنتصر – إلى « بوجهال » قبيل المساء ، وصلّوا المغرب فى ميدان ، ولما انتهيت من الصلاة أخذنى « صوبيدار خان » إلى بيته ، وكان الشيخ عبد الرءوف غير موجود فى المدينة فى ذاك اليوم ، ولما عاد فى المساء وتسامع قدومى توجه إلى بيت « صوبيدار خان » وشرفنى بلقائه ..

ومضى أسبوع أو أكثر فى الزيارة واللقاء ، ثم بدأت أذهب إلى المدرسة ، ورغم أنه قد ضاع شيء كثير من أوقاتى فى المحاكمات ، إلا أننى قبلت فى الصف التاسع .

الملابسات في « بهدرواه » :

أبرق نهال تشند (NEHAL CHAND) إلى محطة الشرطة في « بتوت » في مساء اليوم الذي فررت فيه من « بهدرواه » كما أرسل رسولا إلى والدي يخبره بالموقف الذي حصل .. وكذلك أخبر بالقضية شرطة « جكوال » و « لله » غير أن السهم كان قد خرج من القوس فلم يكونوا ليصنعوا شيئا .. ترك الوالد قضيتي على غاربي ، وقبع لا يحدث نفسه بأمر المحاكمات ، حيث لم يكن ذلك لينفعه في قليل أو كثير .. وكنت بدوري قد وجهت إلى والدي رسالة فور وصولي إلى بوجهال بأني قد وصلت إلى « بوجهال » بسلام وأني لم أحمل من « بهدرواه » شيئا من الأمتعة ، وأنها موجودة في بيت « نهال جند » فاستوفوها منه .

زيارتي لوالدتي :

ولما تسامع أهلي في « مياني » بعودتي من « بهدرواه » قلقوا جدا ، ولاسيما أمي ، وبعد مقدمي بشهر ذهبت لزيارتها لأول مرة فبدأت تتفجر بكاء وتقول : إن كنت قد أزمعت من قبل أنك ستصنع ما صنعت ، كان من الواجب أن تخبرنا من قبل حتى لا تضيع من النقود ما ضيعنا ولم نكسب من العار ما كسبناه .

قلت : أماه ! قد أكدت ذلك لوالدي أكثر من مرة ، ولكنه لم يستمع لرجائي ، فتحمل المشاق بدوره وحملني إيّاها كذلك .

الاختلاف إلى « مياني » :

وكنت أكثر من الاختلاف إلى « مياني » وكنت أساعد أمي كثيرا في الشئون التي تتعلق بخارج البيت ، فكنت أشتري لها حوائجها من « بوجهال » وكانت قد رضيت عني الآن من قلبها ، وقد كنت أكدت لها أن الإسلام يأمر بطاعة الوالدين ، وأني ابنك وخادمك المخلص،وكانت معجبة جدا

بسلوكي وموقفي منها ، حيث رأت الفرق الواضح بين موقفي الحالي وموقفي السابق فيما يتعلق بخدمتها وطاعتها .. وكنت أقول لها من حين لآخر في حذر : إن الدين الذي اخترته هو الدين الصادق عند الله ، فما أحسن أن يتغمدني الله وإيّاك برحمته ، وكانت تتفاعل مع مقالتي ولكن وجود الوالد يقف حاجزا منيعا بينها .

واستمرت دعوات الطعام نحو سنة ، وكان كل فرد من المسلمين يدعوني إلى الطعام ويقيم لي مأدبة غداء أو عشاء في حب وعطف وإخلاص منقطع النظير ، وكاد أن ينتهي عام وما تمكنت من أجل هذه المشاغل أن أبذل فى الدراسة العناية اللائقة ، ورغم أني قبلت للصف العاشر غير أن حالتى الدراسية ساءت يوما فيوما .

النشاطات الدراسية :

ولما أجري الامتحان بعد عطلة الصيف كنت راسبا في جميع المواد تقريبا ، حتى أن رئيس هيئة التدريس ملك محمد طفيل طلبني يوما في مكتبه وقال لي في حضور جميع المدرسين : إنك تعرف طبيعتي المتشددة ولكنني أراعيك ، ولو استمرت حالتك الدراسية على منوالها لاضطررت أن أفصلك عن الدراسة ، ولاحظنّ أن الهندوس سيقولون في شأنك : إن الإسلام أفسده ، حتى أن المسلمين لم يستطيعوا أن ينجحوه في امتحان المدرسة الثانوية .. ولم يعد من الآن بيننا وبين الامتحان السنوى إلا أربعة شهور ، وإني لأعلم أن أوضاعك منعتك من صرف العناية إلى الدراسة فقد ظللت رهين المحاكمات نحو سنة ونصف ، إلا أن جميع مدرسي المدرسة مستعدون لمساعدتك الآن .. فأنشدك الله أن لا تفضحنا أمام الهندوس !.

وفعلت كلمة الرئيس في نفسي فعلها ، وواصلت الليل بالنهار حتى أتلافي ما صدر مني من التقصير والإهمال في الماضي ، وكنت أتضرع إلى الله دبر كل صلاة أن ينجحني في الامتحان .

امتحـان القبول في الكلية :

وكان مركز الامتحان آنذاك يقع في المدرسة الحكومية العالية « بند دادنخان » وكان يرافقنا في رحلة الامتحان الأستاذ غلام قادر وكنا سبعة عشر طالبا ذهبوا ليؤدوا الامتحان ، من بينهم ثلاثة هندوس وسائرهم مسلمون .. وكنت أنيب إلى الله في أيام الامتحان إنابة صادقة ، وأدعوه أن ينجحني ، ولا يفضحني أمام الهندوس ، لأنهم إذا سيسخرون مني ومن ديني الصادق .

وعدت بعد ما انتهيت من الامتحان ، وكان جميع الأساتذة يخافون عليّ ، وكنا حضورا في مكتب البريد يوم أعلنت النتائج ، إذ وقع نظر رئيس هيئة التدريس عليّ فقال : غازي أحمد ! لماذا أتيت إلى هنا على حين أن نتيجتك معلومة عند الجميع – أي أنك ستأتي فاشلا ؟ قلت أتيت أشاطر زملائي الطلبة سرورهم .

نتيجة الامتحـان :

بعد انتظار شديد جاءت حقيبة البريد ، وفضت ، فإذا أربعة عشر طالبا ناجحون من بين السبعة عشر طالبا الذين اشتركوا في الامتحان واحد منهم جاء ناجحا بالدرجة الأولى ، وستة منهم جاءوا ناجحين بالدرجة الثانية ، بينما نجح سبعة منهم بالدرجة الثالثة ..

وكان من فضل الله عليّ وبركة حبى للنبي ﷺ صادقا ، أنني نجحت بالدرجة الأولى من بين جميع الطلاب إذ حصلت على ٥٢٥ علامة .. وكان المدرسون جميعا مسرورين جدا من نجاحي ، أما رئيس هيئة التدريس فكاد يطير فرحا .. قال لي : غازي أحمد ! إن نجاحك معجزة من معجزات الإسلام وأنت مدين للحب الذي أخلصته له .. وقد ظهر أثر ما قاله لي النبي ﷺ في الرؤيا « إني أدعو لنجاحك » وكنت مؤمنا بأن دعاء رحمة العالمين سيفتح لي باب النجاح .

وتشاورت مع الشيخ عبد الرؤوف فيما يتعلق بالخطوة الآتية في حياتي التعليمية ، فقال : انصرفن منذ الآن إلى تلقي التعليم الديني انصرافا كليا ، لأن

الدين الذي دخلت فيه يجب أن تعرف تعاليمه .

ومنذ أن عدت من كشمير كنت نازلا في بيت « صواييدار خان زمان » وقد عاملني الرجل معاملته مع أولاده ، فكان يوفر لي كل ما أحتاج إليه ، وكانت زوجته هي الأخرى تعطف عليّ عطف الأم الحنون على فلذة كبدها .. على كل فقد وجدت في هذا البيت عطف الأبوين ، ومن أجل هذا الحب الصادق الذي ربطني بهذا البيت لا يزال نجلا المغفور له « صوبيدار خان » : ملك محمد إسحاق ومحمد أشرف يعتبراننى أخاهما الأكبر .. إن ملك محمد إسحاق رجل شريف الطبع ، كريم الأخلاق ، نقي السيرة ، متفان في حب الإسلام ، ولا يزال يساعدني في كل صعوبة في الحياة ، ويعاملني معاملة الشقيق مع شقيقه ، أغدق الله عليه نعمه في الدنيا والآخرة .

تحصيل التعليم الدينى :

كان « صوبيدار خان زمان » يود أن أتولى وظيفة عسكرية ، غير أني نزلت عند مشورة الشيخ عبد الرؤوف ، وقررت أن أتلقى التعليم الديني ، ثم انتقلت من بيت « صوبيدار » إلى بيت « صوفي جان محمد » .

زيارتي الأولى والأخيرة للوالد :

بعد نحو ثلاثة أعوام حضر الوالد بمناسبة الأجازة ، واتفق أن اتجهت يوما من « بوجهال » إلى بستان السيد إسحاق راكبا على الدراجة إذ وقع نظري على الوالد وهو متجه إلى « بوجهال » ولما قربت منه نزلت عن الدراجة احتراما له ، ولكنه ظل يمضى في طريقه دون أن يلتفت إليّ ، وكنت بدوري لم أجد جرأة في أن أفاتحه بالحديث .. ووقفت واجما ، مفكراً في قدرة الله على تقليب الليل والنهار وصرف القلوب ، وأتعجب كيف أن والدا يلقى ابنه بعد ثلاثة أعوام ثم يمضي في طريقه دون التفاتة إليه ، على حين أن ابنه لم يقترف جريمة ، وكل ذنبه أنه أبى أن يعيش في الظلام فهرب إلى النور .. حقا إن هذا الصراع بين الحق والباطل فرّق بين مئات الآلاف من الآباء وأبنائهم .. وظللت واقفا في مكاني أتابع النظر إلى الوالد وهو يبتعد عنى ... وكان هذا هو اللقاء الأول والأخير مع والدي بعد ما فررت من « كشمير » .

وثقة في الله عز وجل بدأت رحلة الدراسة بإشراف الشيخ عبد الرؤوف والتلمذة عليه ، وأتممت قراءة « شيخ عطار » و « كلستان » و « بوستان » و « يوسف زليخا » و « سكندر نامه » في ثلاثة شهور ، ثم بدأت في النحو والصرف .

وبما أن العلاقات الأخوية والأواصر الودية كانت قد تزاحمت عليّ في القرية – بوجهال كلان – أشار عليّ الشيخ عبد الرؤوف أن أقصد مكانا آخر لتلقي الدراسة ، وأكد أن النجاح في الغرض مكنون في مغادرة « بوجهال » .. فغادرت « بوجهال » وألقيت عصا التسيار عند الشيخ منور الدين بقرية « جيك منكلا » بمديرية « سرغودها » حيث أخذت منه النحو والصرف وقرأت عليه القرآن الكريم مع تفسيره ، غير أني استوحشت عنده من أجل مرارة الحديث الذي دار بيني وبينه فيما يتعلق بالميرز اغلام أحمد القادياني المتنبي ، حيث كنت أؤمن إيمانا كاملا – ولا أزال – لله الحمد – أنه لا نبي بعد سيدنا النبي الخاتم محمد ﷺ ، وأنه من زعم بعده ﷺ أنه نبي فقد كذب وكفر بينما كان الشيخ المذكور يعتبر الميرزا المتنبيء رجلا صالحا تقيا .. ومنذ أن اطلعت على عقيدة الشيخ في الميرزا تركت الصلاة خلفه ، وكان من تأثير معتقداته الضالة في هذا المتنبيء أن وقع كثير من سكان « جيك منكلا » فريسة القاديانية ..

وعلى كل فقد أمضيت عنده شهورا في الفترة ما بين عامي ١٩٤٢ – ١٩٤٣ م ، ثم فارقته للأبد .. ثم توفرت على دراسة كتابات القاديانية مما دلني على أن الميرزا قد تضاربت دعاواه واختلفت مزاعمه ، وأنه تدرج في ادعائه النبوة من المصلح إلى المجدد فإلى المهدي فإلى المسيح الموعود وأخيرا إلى النبوة .

والواقع أن خلفية ادعائه النبوة كانت سياسية مائة في المائة ، فقد اعتبر المتنبيء هذا نفسه « شجرة غرسها الإنجليز » ولهج طويلا بذكر محاسن الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا ، وعاش حياته في تأكيد ولائه لبريطانيا ، واعترف في كتاباته في اعتزاز واهتزاز بما كان له ولأسرته وعشيرته من جهود كبيرة في توطيد الحكومة الانجليزية في شبه القارة الهندية .

يقول في « التحفة القيصرية » ص ١٦ : « كان والدي يتمتع بالحظوة في بلاط الحاكم الإنجليزي ، وكان قد بلغ من إخلاصه للحكومة الانجليزية ومن شجاعة نفسه ، أن اشترى لها خمسين حصانا من جيبه الخاص وهيأ خمسين مقاتلا وساعد الحكومة السامية بما يفوق طاقته » .

ويقول في « ترياق القلوب » ص ١٤ – ١٥ : « قد مضى معظم عمري في تأييد مناصرة الحكومة الانجليزية هذه ، وقد وضعت في صدد الامتناع عن الجهاد والطاعة للحكومة الانجليزية من الكتب ما لو جمع لملأ خمسين صوانة » .

وقد قام الإنجليز بدورهم لقاء هذه الخدمات التي قام بها الميرزا لتوطيد حكومتهم بالوقوف بجانب هذه الحركة – القاديانية – بكل طريق ، وكانوا يواجهون مخاوف عديدة مثل المهدي السوداني ، ولكنهم وجدوا ناصرا فعالا في صورة الميرزا ، ورسخت أقدامهم في أرض الهند ، وكان تحريم الجهاد حلقة من هذه السلسلة التعاونية التي قام بها ، يقول في ملحق « رسالة الجهاد » ص ٧ : « كل من يبايعني ويؤمن بي مسيحا موعودا يجب عليه منذ اليوم الأول أن يعتقد أن الجهاد حرام في هذا العصر » .

على حين كان الجهاد في سبيل الله من وجهة النظر الإسلامية سبيلا أساسيا إلى استئصال المفاسد .. ولو خضع المواطنون الهنود – المسلمون والهندوس – لأغراض الميرزا السياسية لما استطاعت الهند أن ترفع نير الاستعمار الإنجليزى عن عنقها ليوم القيامة ، ولما وجدت باكستان ولما تمتعنا بالاستقلال .

وإنما أشرت إلى ناحية واحدة لحياة الميرزا ، ولو درست جميع نواحيه الشخصية لعلمت أن بين مكانة النبوة وبينه بعد المشرقين وحتى أن ولاءه للوطن ولاستقلاله يعتبر مشبوها للغاية .

ولا يسعني هنا أن أتحدث عن الميرزا ومواقفه وتفاصيلها في هذه العجالة ، وجملة القول أن حركة الميرزا كانت ضد الإسلام والمسلمين كليا ، لأن الانجليز هم الذين كانوا متولي كبرها ، وقد كانوا يخافون روح الجهاد لدى المسلمين الذين كانوا يعرفون لذة الحرية وقيمتها ..

ومنذ نحو (اثنى عشر عاما) انتخبتني جامعة « لاهور » مديرا لامتحانات بى .اي (B.A.) في كلية تعليم الإسلام بـ « ربوة » وآنذاك أتيح لي أن أقضي فيها نحو ٢٥ يوما ، وفي أحد أيام الأحد – التي كانت ولا تزال أيام العطلة في المدارس الحكومية – قررت أن أجتمع بالميرزا ناصر أحمد فقصدت مكتبه ، وسجلت اسمي في قائمة أسماء الزوار ، وكان رقمي ثلاثين ، فطلبت من مدير الزيارة أن يتيح لي الزيارة في أقرب فرصة ممكنة لأني مرتبط بأشغال الامتحان ، فاتصل بالميرزا المذكور تليفونيا ، وعرفني إليه فقال اجعل اسمه في الرقم ٢ ، وكان الرقم الأول للدكتور عبد السلام ، وبدأت سلسلة الزيارة ، واستغرق نحو نصف ساعة في الزيارة ، وجاء دوري ، وكان السيد ناصر أحمد في الطابق الثاني ، فصعدت إليه وتقدم ناصر أحمد واستقبلني على الباب ، وبعد تبادل التحيات ، جرى الحديث بيني وبينه .

ناصر : بلغني أنكم فارقتم الديانة الهندوسية وتشرفتم بالإسلام .

أنا : نعم صحيح ما بلغكم فقد كنت ولدت في بيت هندوسي وقد أكرمني الله عز وجل بالإسلام .

ناصر : وبلغنى كذلك أن النبي ﷺ شرفكم بالإسلام في رؤيا .

أنا : نعم ، هو كذلك فقد تشرفت بالإسلام على يدي النبي ﷺ في الرؤيا .

وأبدى السيد ناصر سروره وقال : إنكم رجل سعيد جدا بل أستطيع أن أقول إنكم دليل على صدق الإسلام .

وظل يسائلني عن تفصيل دخولي في الإسلام فأجبت بما تيسر لي .

واستغرق ذلك نحو نصف ساعة فقلت له : أيها الأخ قد مضى نحو نصف ساعة ، هناك زوار كثيرون ينتظرون دورهم ، فأستميحكم الخروج ، غير أنه إذا رأيتم من المناسبة وما رأيتموه سوء الأدب لسمحتم لي بتوجيه سؤال إليكم كطالب .. فسمح بذلك في رضا .. فقلت :

كما تعلمون أن النبي ﷺ هو الذي شرفني بالإسلام في الرؤيا ، وحسب مقتضى الحديث « من رآني في المنام فقد رآني » أؤمن بأنني قد أخذت الدين من شخص النبي ﷺ ، وأؤمن بأن العقيدة التي أتبعها تتفق ورضاه ﷺ .

ولكنكم تدعون أنكم تتمتعون بنبوة جديدة ، فلو كانت هذه النبوة مرضية لدى الله عز وجل ، لأمرني النبي ﷺ بالتأكيد بعد أن شرفني بالإسلام : أن أذهب إلى « قاديان » لأكمال دينك ، لأنه ﷺ بصفته نبيا كان ملزما أن لا يعرض صفحا عن « نبوة » الميرزا غلام أحمد ، غير أنه ﷺ لم يلتفت إليها ، مما يدل دلالة واضحة على أنها غير مرضية لدى الله ورسوله وأنها كاذبة تماما .

وبعد ما أنهيت حديثي قال السيد ناصر : إن هذا السؤال جديد عليّ ، وطرح أمامي لأول مرة في حياتي ، وأنه معقول دونما شك ، غير أن هناك زحمة من الزوار الذين ينتظرون زيارتي بفارغ الصبر ، فسأجيب على سؤالك في لقاء آخر .

قلت إن هناك سؤالا آخر يلح علي أن أطرحه أمامك : إني قرأت في كتابات الميرزا أنه يقول : إني وجماعتي يتبعون في الفقه مذهب الإمام أبي حنيفة ، ويا أخي أني بدوري أتبع مذهب الإمام ، ولكن الميرزا كما تزعمون كان نبيا ، فهل يجوز أن يتبع نبي مذهب أحد من أمته في الفقه ويقلده في هذا الشأن . إن ذلك لإهانة للنبوة ..

قال : إن هذا السؤال هو الآخر سأجيب عليه في لقاء آخر في تفصيل . ثم خرجت من عنده ، وودعني بوجه طلق ، ولما أخذت أقطع السلم نزولا شعرت أن إيماني بالنبوة يزداد أكثر من ذي قبل ، وأن سيدنا محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وأن دينه أكمل الأديان ، وأنه لا حاجة إلى من يكمله ، وأن من يدعي النبوة بعده فهو كاذب كفار .

القدوم إلى « بندي غيب » :

كان سكان « منكلا » مطبوعين على الكرم فى الضيافة فخدموني خلال نزولي بها خدمة كبيرة ثم غادرت « منكلا » إلى « بندي غيب » وقصدت

« مدرسة الشريعة » فيها وكان مديرها آنذاك القاضي شمس الدين الذي كان عالما فاضلا وحيدا ، فدرست عليه مبادىء الفقه والأصول ، والمعاني والبيان والأدب والمنطق والفلسفة ، وبعد عامين قضيتهما عنده طلبته الجامعة الإسلامية الأم – دار العلوم بمدينة « ديوبند » أستاذا عندها .

في دار العلوم « ديوبند » :

واستصحبني القاضي إلى الجامعة حيث مكثت مدة عام ونصف ، ودرست عديدا من الكتب الهامة في مختلف العلوم والفنون .

في « غجرات » :

غير أني لبعض العوامل الضاغطة ، اضطررت أن أغادرها فقصدت « غجرات » وألقيت عصا التسيار في مدرسة « إشاعة القرآن » التي كانت تجري تحت إشراف السيد عناية الله البخاري وكان رئيس هيئة تدريسها الشيخ محمد رحمه الله ، الذي كان قد مهر في العلوم الإسلامية ، وكان ذا شخصية فريدة ، وكنت أقرأ على الشيخ « غلام رسول » الذي كان يغمرني بعطفه ولطفه كمثل الشيخ محمد فاضل ، وأتممت في هذه المدرسة دراسة الحديث وأصوله ، والفقه وأصوله ، والأدب العربي ، والمنطق والفلسفة وعلم الفرائض والميراث وعلم الهيئة والمعاني وعلم العروض والمناظرة وانتهيت من الدراسة العليا حسب « المنهج الدراسي النظامي » .

عطف الأستاذ عليّ :

وما تعلمته من العلم الديني إنما يرجع فيه الفضل إلى الشيخ محمد فاضل رحمه الله ، وإلى ما بذله لي من عناية ورعاية ، وكنت بدوري أعكف على الدراسة كل يوم نحو ثلاث عشرة ساعة ، وكان جميع أساتذتي معجبين باجتهادي في الدراسة .

وكنت أضع نصب عيني دائما ما قاله الإمام الشافعي في البيتين الآتيين :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

وقد وُفقني الله عز وجل أن أعتبر التأدب مع الأساتذة واحترامهم اللائق جزءاً من الإيمان فكانوا يغمرونني مقابل ذلك بالعطف البالغ .

وقد استأثرت رحمة الله بالشيخ محمد فاضل في شبابه رحمه الله ، وأدخله في جنة الفردوس ، وأنزل عليه شآبيب رضوانه .

وعلى كل حال ، فإن تفسير القرآن الكريم وعلم الفقه والأدب العربي كانت مواد حبيبة لديّ جدا .

تقسيم البلد إلى دولتين :

في ١٩٤٧ م حصل حادث تقسيم البلاد إلى دولتين : الهند وباكستان وبدأت سلسلة الاضطرابات الطائفية بين الهندوس والمسلمين ، وهناك أهمني أمر أمي وأشقائي فغادرت غجرات توّا إلى « بوجهال » وفي الليلة نفسها ، وقعت حوادث القتل والنهب العنيف في قرية قريبة اسمها « نوربور » ووصلت في الصباح إلى « مياني » وأتيت بأمي والأخوة إلى منزل الشيخ « صوبيدار خان زمان » وهذا المنزل يتوسط « بوجهال » و « مياني » ونقلت من الأثاث والأمتعة ما كان غالي الثمن ، وكنت متأكداً من أن أحدا لن ينظر إلى أقربائي نظرة سوء وأنا موجود بينهم .

أمي في مخيم « جكوال » :

ثم بدأ جلاء الهندوس من المنطقة ، وأقامت الحكومة مخيما في « جكوال » حتى يحتشد الهندوس القاطنون في المنطقة كلها ، وليكونوا في حماية الجيش .. وقد بعثت إلى والدي ببرقية قلت فيها : لو سمحتم أنزلت والدتي والأخوة عندي في المخيم ، ولكنه لم يسمح بذلك في ضوء التجربة المرة التي عاشها معي ، فاضطررت أن أحمل الوالدة والأخوة على كره مني على سيارة الجيش التي وصلت بهم إلى « جكوال » ..

وكنت ألازم الحضور إلى « جكوال » كل يوم بالحاجيات ، طيلة الشهر الذى قاموا فيه في « جكوال » وأحمد الله أن الوالدة والأخوة كانوا في مخيم

« جكوال » في راحة ، وكنت أوفر لهم جميع المواد التي يحتاجون إليها لإعداد الطعام ، وكان المراقبون للمخيم من الجيش قد تعرفوا علي ، فلم يفرضوا حظرا على حضوري إلى المخيم في كل وقت أريد فيه الحضور ، وكذلك تعرف علي جميع الهندوس في المخيم أثناء رعايتي لوالدتي .. وكانوا يقولون لها : ما أحسن هذا الولد وما أكثر خدماته ، وأجمل حرصه على توفير حوائجك ! يا ليته لم يكن قد فارق دينه !

وديعة الخالة :

وعندما كان الهندوس ينتقلون إلى المخيم ، أرسلت خالتي إلىّ بواسطة والدتي أشياء من أموالها مطوية في كيس كوديعة عندي على أنها ستستردها مني إذا بقيت حية في مخيم « جكوال » وإن قتلت فإنها تنفعني .. قلت لها : خالتي ! سلمك الله ، أنا لست حريصا على المال .. وعلى كل فقد وضعتها عند صوفي جان محمد ، وفي يوم من الأيام قلت لصوفي جان محمد : تعال ! نر ماذا في هذا الكيس وفتحناه فإذا فيه ما يعادل ثمانين رطلا من الذهب ونحو عشرين أو اثنين وعشرين كيلو من الفضة .. وطوينا هذا المال الكثير القيمة في ذلك الكيس كما كان .

أداء الوديعة :

وبلغني ذات مساء أن قطارا خاصا سيتوجه إلى الهند في الصباح بالذين تجمعوا في المخيم ، وذكرت فورا أمر الوديعة ، ولم يكن صوفي جان محمد موجودا في البيت ، ولكني توكلت على الله ، وربطت الوديعة في مؤخر الدراجة ، واتجهت إلى جكوال ، وكانت الشمس قد غربت ولم تكن الطريق مأمونة ، وقد رأيت في الطريق قتيلين من السيخ ، غير أن الضمير كان يناديني أن أصل إلى « جكوال » فورا ، وأؤدي الوديعة إلى خالتي . وعلى كل فقد وصلت المخيم عشاء وسألني الشرطي عن سبب تأخري اليوم في الحضور ، قلت : كنت مرتبطا ببعض الشئون اللازمة ولما دخلت المخيم سرت خالتي وزوجها سرورا بالغا ، وقالوا الحمد لله الذى أوصل إلينا مالنا ، وتجمع جميع الهندوس في المخيم ، وأخذت

الوديعة المحملة على دراجتي ، وأديتها إلى زوج خالتي ، ورجوته أن يرى وديعته ..

عظمة الأمانة :

وسر جميع الهندوس بأمانتي للغاية ، وقال أحدهم : إن الدم الهندوسي يجري في عروقه فلماذا لا يكون أمينا ؟! قلت : إنك خاطئ في تفكيرك لو لم أكن مسلما لاختلست هذه الوديعة منذ وقت بعيد ، وأن الإسلام هو الذي علمني أن الخيانة في الأمانة جريمة لا تغتفر ، وأنه لابد من أداء الأمانة إلى أهلها سالمة غير مخدوشة ، فأحمد الله أني كنت مسلما فأديت هذه الوديعة إلى أهلها .. قال : لو كان جميع المسلمين مثلك لما اضطررنا أن نهجر وطننا هذا إلى منطقة أخرى .. وكذلك كانت أمي مسرورة جدا ، تقول لي : لقد زدتني عزا وافتخارا ... وكنت بدوري مغمورا بالفرحة من أجل أداء الوديعة حيث لم أحدث فيها أية خيانة ، ولم ألوث بها الإسلام الذي دخلت في حظيرته ، اللهم احفظنا من الرزق الحرام .. ثم قال لي أصحاب المخيم : إن اتجاه القطار بنا اليوم إلى الهند كان خبرا كاذبا ولا ندري متى سيأتي القطار وأننا قد سئمنا جدا حياة المخيم هذه ..

رجائي من الوالدة لترك أحد الأخوة عندي :

ورجعت من المخيم من الغد ، وقلت للوالدة : إنك تذهبين إلى الهند ، وربما لا نلقاك في هذه الحياة ، فلو تركت أخي « أرجن داس » (ARJUN DASS) عندى ، لعشنا معا ، فلو تركت أخى « أرجن داس » والآلام ورضيت بذلك .

رحيل الوالدة إلى الهند :

كنت أحافظ على الحضور في المخيم في « جكوال » كل يوم ، وأزور الوالدة ، فكانت راضية عني ومسرورة بى للغاية ، لا تشبع من الدعاء لي ،

وكنت بدوري راجيا منها هذا الدعاء ، واتفق يوما أني لم أتمكن من الحضور إلى « جكوال » من أجل الحمى التى أصبت بها ، وفي مساء ذلك اليوم جاء القطار الخاص وذهب بجميع الهندوس إلى الهند ، ولما حضرت في اليوم الثالث دهشت أن المكان قد أقفر ، ثم علمت أن القطار كان قد جاء بالأمس .

وقال لي صاحب مطعم « ونهار » السيد ملك غلام محي الدين : إن والدتك كانت قد تركت أحد أشقائك في مطعمي هذا ، ولكن أقرباءك الآخرين ذهبوا به .

وأسفت جدا لأني لم أتمكن من توديع أمي وأخوتي وأقربائي ، وكنت حزينا جدا من ذهاب « أخي أرجن داس » وجلست في المطعم أبكي وعزاني السيد ملك غلام محي الدين ، لكن الدموع انهمرت ، ورجعت من « جكوال » كئيبا حزينا باكيا ، ولم يبق لي قريب من أقربائي في باكستان ، وبقيت أنا وحيدا .

رسالة أخي من الهند :

وكان يهمني جدا أمر الطريق ، حيث أن أهل الهند كانوا قد بدءوا الهجوم على القطار ، ودعوت الله عز وجل أن تصل والدتي الكريمة وأخوتي إلى الهند سالمين ، واطمأننت لما وصلتني رسالة أخي من الهند ، وعلمت من الرسالة أنهم قد نزلوا في إمارة « ناله كره » واجتاز أخوان لي امتحان المدرسة الثانوية ، وكان أخي الأوسط قد ذهب إلى الهند لدى التقسيم وهو يتعلم في الصف السابع ، ولكنه ما تمكن من إتمام الدراسة من أجل انحراف صحته .. وعلى كل فقد صار الأخوة الثلاثة موظفين هناك اثنان في الجيش وواحد في مصلحة من المصالح المدنية .

وفاة والدي :

وتوفي الوالد بعد تقسيم البلد بعامين ، ثم انتقل الأخوة والوالدة إلى « سدهور » بمديرية « أنباله » ولا يزالون بها لدى كتابة هذه السطور .. وبعد وفاة الوالد كتبت إلى الوالدة أنه لا يمكنني أن أحضر إلى الهند ، لأن الهندوس يتعصبون ضد كل مسلم ، أما حديث العهد بالإسلام فهو شوكة في أعينهم بصفة خاصة ..

زيارتي للوالدة على الحدود :

فما أحسن أن تحضري على حدود « واهكه » .. ورضيت الوالدة وتقرر تاريخ اللقاء ، ووصلت هي وأرجن داس « واهكه » ووصلت أنا وصوفي جان محمد « لاهور » ووصلنا من الصباح الباكر « واهكه » ولكن ضابط الحدود رفض أن يسمح باللقاء ، وقال : لابد لكم أن تحصلوا على إذن أولا من الحكومة ، وبدونه لا نسمح لكم بالزيارة ، قلت : ها هي ذي والدتي وأخي قبالة هذا السلك الحديدي الشائك ، ولو رحت آخذ الأذن لما تمكنت من اللقاء ، غير أنه ظل يصر على الإنكار ، وهناك استعبرت عيناي ، وانهمرت الدموع وبينما أنا كذلك إذ دخلت سيدة في الخيمة ، وسألتني عن سبب البكاء فقصصت عليها قصتي ، فرق قلبها ، واضطر الضابط أن يسمح لي باللقاء من أجل تلك السيدة .

وتحدثت مع الوالدة نحو نصف ساعة ، وكان هذا اللقاء هو اللقاء الأخير مع الوالدة ، وكذلك مع أخي ، حيث ما تمكنت من اللقاء مع الأخوة بعد ذلك .

انتقالي من « بوجهال » إلى « مياني » :

بعد ما انتقل والدي إلى الهند ، تركت السكن بـ « بوجهال » وانتقلت إلى « مياني » حيث سكنت البيت الذي تركه أبواي ، ولا أزال ساكنا فيه وفكرت في قدرة الله عز وجل وتعجبت منها كثيرا ، حيث أعادني بعد الإسلام إلى البيت الذي كنت تركته من أجل الإسلام ، وقد صدق الله إذ قال : ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ .

أراضي الوالدين :

وقد ظلت أراضي الوالدين نحو عشر سنوات أو أكثر تحت سيطرتي وتصرفي ، غير أنها سحبت من حوزتي وأعطيت لشخص آخر بتأثير مدير المحافظة (TAHSIL DAR) لأني لم أتمكن من توفير مبلغ الرشوة ، وما كنت لأدفع له رشوة ، مهما كان عندي من مال .. وقد عصمني الله عز وجل من الرشوة

والارتشاء لحد الآن ، وقد كنت مرتاح البال بعد فقدان الأرض لأني ما أسلمت من أجلها ، ورزقي على الله ، فلم يكن ليهمني ذلك ، وأحمد الله أني أعيش عيشة الراحة والرفاهية بمنه وكرمه .

حزت الدرجة الأولى في الجامعة في امتحان « مولوي فاضل » :

في مايو ١٩٤٨ م أديت امتحان « الفضيلة » وبمنّ الله وكرمه فزتُ بالدرجة الأولى بين جميع الطلاب في جامعة البنجاب وتلقيت ميدالية (MEDAL) .

عينت أستاذا :

وفي غرة نوفمبر ١٩٤٨ م عينت مدرساً غير مدرب (UNTRAINED TEACHER) في متوسطة هيئة المديرية (DISTRICT BOARD MIDDLE) (SCHOOL في « نور بور » بمديرية « جهلم » بمرتب ثلاثين روبية بالإضافة إلى عشرين علاوة الغلاء .. وفي عام ١٩٤٩ م اجتزت امتحان « منشي فاضل » بامتياز ، وفزت بالدرجة الأولى في منطقة « راولبندي » .. وكنت أدرس في هذه المتوسطة الأردية والفارسية لطلاب الصفين السابع والثامن .

زواجـــي :

قبل أن أشتغل موظفا كانت هناك محاولات لزواجي عن طريق « صوفي جان محمد » غير أنها لم تتم لأن أهل الفتاة في بعض الأمكنة كانوا يضعون شروطا ما كنت أرضى بها ، وفي أخرى لا يرضون شروطا كنت أشترطها ... غير أن الله عز وجل كان قد قدر لي آصرة زوجية طيبة جدا ، فلم تكن لتنجح مساعي صوفي جان محمد في غيرها .

لقد عرفت قرية « نوبور » خلال عملي مدرسا بها معرفة جيدة ، وقد جاءني يوما أحد سكانها الوجهاء وهو القاضي محمد رشيد إلى المدرسة ، وكان ابنه محمد أمين طالبا بالسنة السابعة في المدرسة ، فظل يسائلني عنه طويلا ،

وعن حالته الدراسية ثم سألني : هل تزوجت ؟ قلت : ما تزوجت لحد الآن ، وعاد القاضي ، ثم جاءني من الغد واختلى بي ، وقال : قد بحثت أمر زواجك مع امرأتي ، وهي تعلم قصة إسلامك وهي معجبة بها جدا ، وبعد البحث والتفكير قررنا أن نزوجك ابنتي الكبرى ابتغاء وجه الله وحده .

وأعجبني إخلاصه وإيثاره إذ علمت أنه عزم على أن يتكرم علي ابتغاء رضا الله فقلت له : سأجيبك بالقطع بعد يومين أو ثلاثة أيام ..

كان صوفي جان محمد قد بدأ الخطبة مع أحد الناس غيره ، وكنت أكره هذه الخطبة لأسباب .. ولما عدت من المدرسة أتيت صوفي جان محمد ، وأخبرته بما دار بيني وبين القاضي ، فدهش ثم قال : إذا تم زواجك في مثل هذا البيت الشريف فما أحسن ذلك ! وإني أعرفهم شخصيا ، إنهم صلحاء متدينون وأثرياء في وقت واحد ، وكل الناس في المنطقة يعترفون بشرفهم ، فلتتم الخطبة مع القاضي وسأذهب أنا إلى « نوربور » لأشكره على هذه المبرة الكريمة التي عزم على أن يقوم بها معك .

وعلى كل أرسلت الأخ العزيز محمد أمين في اليوم الثالث إلى أبيه القاضي رشيد ، ليأتي به إلى المدرسة ، فلما أتى قلت له : قد تحدثت في القضية مع صوفي جان محمد ، وهو راض بذلك ، ولكنه يرى أنه لابد أن تحضروا يوما « مياني » لكي تشاهدوا عيشتي وبيتي .. فقال : إني ما أريد أن أعقد آصرة الزواج هذه من أجل البيت وحالته ، وإنما أريد أن أخطو هذه الخطوة من أجل رضا الله وحده .. فأبديت رضائي وتمت خطبة الزواج .

أهل صهـــرى :

كان بعض أهل صهرى ينتمون إلى مذهب أهل الحديث ، ولكن معظمهم حنفيون ، والقاضي المذكور أعلاه له أربعة أبناء وأربع بنات وبيته بيت دين وورع ، والأبناء والبنات كلهم محافظون على الصلاة والصوم وابنه الأكبر رشيد أحمد والذي هو أصغر منه – رفيع أحمد – لهما تجارة رابحة عن طريق الحمل والنقل بالشاحنات ، وقد حج والدهما بفضل تجارتهما ، وابنه الثالث محمد أمين

يتصل بي اتصالا وثيقا ، وقد أكرمه الله بقلب مخلص ، ويقضي أوقاته ليلا ونهارا في دراسة الكتب الدينية والذكر والعبادة ، وله منن علي كثيرة تفوق الحصر ، جزاه الله خيرا ، فقد أحبني أكثر مما يحب شقيق شقيقه ، وأما ابنه الأصغر عبد الوهاب فهو حائز على شهادة ايم . اي (M.A.) وهي تعادل ماجستير – في التجارة .

الانتقال من مدرسة « نوربور » إلى مدرسة « بوجهال » :

في غرة نوفمبر ١٩٤٩ م وقع نقلي من مدرسة نوربور المتوسطة إلى المدرسة العالية لهيئة المديرية للتعليم بـ « بوجهال » وقد جعلتها الحكومة منذ غرة أكتوبر ١٩٥١ م تحت سيطرتها ، ومنذئذ صرت موظفا رسميا .

مناسبة الزواج :

تقرر يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥٣ م يوم زواجي ، وبهذه المناسبة رأيت لزاماً عليّ أن أخبر أمي ، وقلت لها : إنه سيكون زواج ابنك الأكبر في تاريخ كذا ، ولكني سأظل محروما من سعادة حضورك ومن حنانك في هذه المناسبة السارة .. وقد بعث بعض أصدقائي بصورة من هذه الرسالة التي بعثتها لوالدتي ، إلى مجلة « تصور » الشهرية الصادرة من « لاهور » وأثبتها فيما يلي نقلا عن عددها الصادر في ديسمبر ١٩٥٤ م حتى يطلع القراء الكرام على ما كان ينطوي عليه قلبي من العواطف والأفكار بهذه المناسبة :

رسالتي لأمي :

أمي الحنون ! ليهنأ لك زواجي الذي سيتم في ١٣ ديسمبر أفلا تودين أن تشتركي في حفلة زواجي ؟ وإذن فإن فرحتي ستبقي ناقصة .. إنك تعلمين أن يوم الزواج في حياة الإنسان يكون تعبيرا جميلا سارا عن الحلم الحلو وتنحسر مسرات الأكوان كلها لتتجمع في قلبه ، وتعود كل ذرة في الكون كأنها ترقص أمامه في سرور واهتزاز ، حتى تصير زفرات الواجد المكروب نغمة حلوة في أذنيه .

أمي الحنون ! غير أن تعبير أحلامي تبدو عبارة عن زفرات حزينة ودموع حارة ، ونغمات غير ربيبة متوحشة منطلقة من عود الحياة ، وشمعة مشرفة على الانطفاء في طريق الحياة ، ومعالم دارسة في سبيلها وأمان مبعثرة أو باكية على درب البهاء الظاهر .

.. وإن قلبي الحساس ليشعر بحالة قلبك ..

ربيع قلبي ... ! لا أكرهك .. بل إن مكانك في قرارة قلبي ، وإنك لمنارة نور لسفينة عواطفي التي تتقلب بين أمواج الحياة !!

إن هذه الخيوط الذهبية في الملابس العروسية تحمل آلافا من الأحزان والأحلام معا ، وإن المشاركين في حفلة عرسي البائسة مسرورون.. ولكنهم لا يذكرون أن الرماد لا يتقد ، وأن الميت لا يحيا فى هذه الدنيا ..

– من لي يستشعر ما في أعماق قلبي ؟ إن إدراك دموعي يفوق عقولهم ، إنه ظلم من القساة الذين يقولون : إن دموع الحزن حارة ، على حين أني أكاد أحترق بهذه الدموع المنبعثة من السرور !!

إن قلبي مستوحش من غياب أمي الحنون وأشقائي الأعزاء .. فالشجرة التي اهتزت من الجذور بسبب عواصف الحزن ، لا يستطيع النسيم أو غيث الربيع أن يضفيا عليها الخضرة والحياة . لا ، وكلا ! .. نعم إن قطرات الغيث تستطيع أن تغسل ما علق بظاهرها من الغبار ، ولكنها لا تستطيع أن تؤثر في باطنها .

يا أماه ! إني لا أحب أن أزعجك أكثر من ذلك .. وأن أمنيتك قد تحققت بزواج ولدك الأكبر ، هذا صحيح .. غير أني لا أدري لماذا أرى الحزن يعلو وجهك .. إن زفراتك الحزينة يا أماه تجعل هشيم قلبي رمادا ، وإن دموعك تطفيء سراج قلبي المشرف على الانطفاء .

واني لأهدي إلى أمي الحنون بمناسبة زواجي خليطا من السرور والأحزان ، وإني لأتوقع منها أن تنظم لابنها عقوداً من البسمات والمسرات الجميلة ..

أمي الحنون ! ألتمس منك أن لا تقدمي إليّ عقد دموع ، لأني إذا جعلته في عنقي سيذهب بالبقية الباقية من سعادتي !!

.. ومعذرة إليك ، إذا أقلقتك رسالتى ، غير أنها كانت نداء قلبي لم أستطع أن أخفيه ، وربما تتشرف هذه الرسالة بالوصول إليك بعد أن يتم أمر زواجي ، وأرجو أن تسعدى في هذه اللحظة التى تتسلمين فيها الرسالة لأن سعادتي لن تتحقق إلا بسعادتك !!

الزوجة الصالحة :

انتهيت من أمور الزواج يوم ١٣ ديسمبر ، وبدأت حياة جديدة ، وكان من عناية الله عز وجل لى ، أن حالفني الحظ فيما يتعلق باختيار الزوجة ، حيث أكرمني بزوجة نقية السيرة ، شريفة الطبع ، متدينة ، مواظبة على الصلاة والصيام وعلى صلاة التهجد ، وما وقع بيننا حتى الآن أي شقاق ، وإن بيتي ليعيش في أمن وسلام ، وكل ذلك من دعاء مولاي سيدي محمد ﷺ نبي الرحمة .

الولد البكـر :

في ٢٦ يناير ١٩٥٥ م وهبني الله عز وجل ابنا يضارع القمر في حسنه ، وسميته « طاهر جميل » وبمن الله وكرمه اجتاز امتحان ايم بي . بي . ايس (M.B.B.S.) من كلية كنج ايدورد الطبية بلاهور (THE KING EDWARS MEDICAL COLLEGE) وهو يعمل الآن بصفته رئيسا للأطباء (CAPTAIN DOCTOR) في الجيش الباكستاني ، وقد أكرمه الله بحسنات الدنيا والآخرة ، ومما يبعث على السعادة والسرور أن طاهر جميل هو الآخر تشرف برؤية النبي ﷺ في المنام ، وتفصيل المنام – كما ذكره لى – كما يلي :

زيارة ولدي للنبي ﷺ في المنام :

ذات مرة دعا طلاب الكلية المتوسطة الحكومية (Government INTERMEDIATE COLLEGE شخصية محترمة فى الحكومة المركزية فى مناسبة عقدها اتحادهم ، فأبدى أحد الشخصيات البارزة في حكومة البنجاب سخطه عليّ وعلى عميد الكلية السيد عبد السلام القريشي ، حين أني ما كنت أمتّ إلى أمر هذه الدعوة بصلة قريبة أو بعيدة،وعلمت أن هناك استعدادا لاتخاذ إجراء

نقلنا من الكلية ، وكنت يومئذ قلقا بعض الشيء ، فرأى ابني طاهر جميل في المنام أني وإياه – قائمان في غابة ، وبينا نحن كذلك إذ أقبل علينا شخص بسيف في يده ، وأدرك طاهر أنه يريد أن يهجم على أبيه فتقدم للدفاع عنه خطوتين أو ثلاث خطوات ، وكان ذاك الشخص على بعد قليل عنا .

ويقول طاهر :

التفتّ إلى الوالد ، فإذا هو غائب عن مكانه ، ورأيت النبي ﷺ في مكانه ، فتخلفت احتراما له ﷺ ، ثم خطر ببالي بصورة مفاجئة أنه قد يهجم على النبي ﷺ ، فعزمت على أن أتشرف بالقيام بالتضحية بنفسي في الدفاع عنه ﷺ ، كما كان يصنع معه الصحابة الكرام رضي الله عنهم .. وبينا نحن كذلك إذ قرب حامل السيف منا ، وكدت أن أتقدم لألاقيه إذ منعني النبي ﷺ بالإشارة ، ووقفت مكاني امتثالا لأمره .

واقترب حامل السيف منا ، وسقط السيف من يده ، وقال للنبي ﷺ : أدخلني في الإسلام ، فأسلم من ساعته ، وسررت سروراً بالغاً . ثم خاطبني النبي ﷺ قائلا : طاهر جميل ! هل هناك مسجد ؟ قلت : نعم ، هناك مسجد قديم على مقربة منا فقال : تعال نصلّ المغرب فدخلنا المسجد معه ﷺ ، وصلينا – أنا وأبي – خلفه ، وقرأ ﷺ في الركعتين الأوليين جهرا ، بينما قرأ في الركعة الأخيرة الثالثة سرا ، ثم سلم ودعا .. وكنت أصلي النفل بعد الفرض حين استيقظت عيناي .

ولما قصّ علي ابني منامه سررت جدا ، وتوجهت على الفور إلى الكلية ، وقلت للعميد : اطمئنوا ، فليس هناك أحد يستطيع أن يضرنا بشيء .. ، و ذهبت مخاوفنا في الواقع بركة دعاء النبي ﷺ ... ولا يسعني أن أقوم بواجب الشكر لله عز وجل ، حيث أكرم ابني الثاني وابنتي الكبرى كذلك بزيارة النبي ﷺ ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ولما اجتاز طاهر جميل امتحان ايم . بي . بي . ايس (M.B.B.S) عين طبيبا في الجيش الباكستاني ، ثم ذهب في أواخر ١٩٨١ م إلى المملكة العربية

السعودية ، حيث يقوم بوظيفته في هذه الأرض المقدسة ، وقد وفر لوالديه فرصة الحج والزيارة في عام ١٩٨٢ م .

زيارة ابني للنبي ﷺ مرة ثانية :

في الأيام الأخيرة كتب إليّ ابني العزيز « طاهر جميل » أنه رأى في المنام أنه وصل إلى المدينة المنورة ، وزار روضة النبي ﷺ ، وجعل يقرأ الصلاة عليه في خشوع وخضوع بالغين ، وأنه فتح له باب الروضة ، ودخلها وهو يقرأ الصلاة على رسول حتى وقف على باب الحجرة الشريفة وهو يقرأ الصلاة عليه ﷺ ، فرأى أن باب الحجرة هو الآخر قد انفتح بصورة عفوية ، فدخلها ، ورأى فيها ثلاث قبور ، ورأى على القبر الأول لوحة مكتوباً فيها « محمد رسول الله » ...

يقول طاهر :

ووقفت من القبر المقدس في جانب الرجل ، وبدأت أقرأ الصلاة فإذا بى أرى بعد قليل أن القبر قد انشق وخرج منه النبي ﷺ ، وسألني عما أقدمني إليه فقلت له وأنا أبكي : سيدي قد أتيت ألتمس من الله عز وجل وبشفاعة شخصك الكريم العفو عن ذنوبى .

فقال النبي ﷺ : إن الله قد غفر ذنبك ... ولما سمعت منه ذلك ، بدأت أطير فرحا ، وخرجت دموع الشكر والاعتراف بالجميل من عينيّ .. ولما رأيت هذا العطف واللطف منه ﷺ قلت له : مولاي ! أريد أن أتم الدراسات العليا بعد البكالوريوس فألتمس منك الدعاء بالنجاح ، فقال ﷺ : بني ! عليك ! بالاجتهاد في الدراسة ، وأنا أدعو لك بالنجاح ..

وبعد أن أتم النبي ﷺ كلماته استيقظت عيناي .. وسررت سرورا بالغا من هذه الرؤيا ، التي أريت فيها أن الله عز وجل قد غفر ذنبي ، وأكرمني النبي ﷺ بالدعاء لنجاحي ، وظلت حلاوة كلماته ﷺ تشنف أذنى طول اليوم ، وتزيد فرحتي وسروري ، ووفق ما أمرني بدأت الدراسة منذ ذلك اليوم .

زيارة ابني للنبي ﷺ في المنام مرة ثالثة :

وبعد عدة أيام تشرف ابني العزيز « طاهر جميل » بزيارة النبي ﷺ في المنام للمرة الثالثة ، ورآني في هذه المرة واقفا بالقبر الشريف ، وقد كتب اليّ أنه كان يسمع صوت النبي ﷺ ، ولكنه كان يرى صورة أبيه – كاتب هذه السطور – فسأل طاهر النبي ﷺ : لماذا لا تبدو لي في صورتك ؟ وكنت أنتظر الإجابة حتى أيقظني الخادم لصلاة الفجر .

وكتب إليّ أنه ما إن رأى رؤياه هذه ، حتى أخذ الإجازة من وظيفته في « خميس مشيط » بالمملكة العربية السعودية ، وتوجه إلى المدينة المنورة ، وما وجده من الطمأنينة الروحية والسكون القلبي في الحرم النبوي في هذه المرة ، لم يجده من قبل في حياته .

ومن نعمة الله الكريم الرحيم العظيمة أنه أكرم ابني بزيارة نبيه رحمة للعالمين ﷺ في المنام ثلاث مرات ، وأكرمنا نحن المذنبين كذلك بهذه السعادة .

امتحان ايف . اي (F.A.) :

وبعد ما اجتزت امتحان « منشي فاضل » وقفت الأشغال المزدحمة حاجزة بيني وبين الدراسة ثم وفقني الله عز وجل أن أبدأ في الاستعداد لامتحان ايف . اي (F.A.) واشتركت في هذا الامتحان عام ١٩٥٤ م ، وأحمد الله أن جعلني ناجحا بالدرجة الأولى وبالمرتبة الثانية بين جميع الطلاب المشتركين في الامتحان (منتسبين) في جامعة البنجاب ، وبذلك أصبحت مستحقا للمنحة الدراسية .

امتحان بى . اي (B.A.) :

وفى عام ١٩٥٦ م أديت امتحان بى . اى (B.A.) ووفقنى الله فنجحت بالترتيب الأول وبمرتبة الامتياز بين الطلاب المشتركين في الامتحان بشكل خصوصي .

امتحان بى . ايد (.B.E.D) :

وفي عام ١٩٥٦ م تأهبت لأداء امتحان بي . ايد (.B.ED) إلي كلية التدريب المركزية بمدينة « لاهور » وكان أساتذتها يعطفون عليّ كثيرا ، وكان الأستاذ البروفيسور فضل أحمد الحامل لشهادة ايم . اي . في الفارسية والاقتصاد والعلوم السياسية وشهادة بى . ايد (.B.ED) من أمريكا ، يعاملني معاملة الأب لابنه ، فكان يزورني كل يوم في الرواق ويحمل معه شيئا أو آخر مما أحتاج إليه ، بل كان يساعدني مساعدة مالية أيام نزولي بالكلية .. وكذلك كان يعنى بي عناية خاصة عميد الكلية ايم . اي مخدومي ، ونائب عميدها السيد هارون ... حتى إنهم انتخبوني لمنصب التلميذ المفوض العام وكانت علاقتي مع الطلاب جيدة كذلك ..

ولما اجتزت امتحان بي . ايد (.B.ED) عام ١٩٥٧ م وحضرت لمقابلة سيادة العميد مقابلة الوداع ، قال لى : ما برنامجك فى المستقبل ؟ قلت أريد أداء امتحان (.M.A) في العربية ، قال : هل تنجح ؟ قلت : سيدي ! إن شاء الله سأنجح فيه بالدرجة الأولى ، قال : أخبرني بنجاحك بعد ظهور النتيجة .

امتحان ايم . اي (.M.A) في العربية :

وأديت امتحان (.M.A) في العربية عام ١٩٥٨ م ، وبمن الله وكرمه نجحت بالدرجة الأولى في جامعة البنجاب ، وحصلت على ثلاث ميداليات ، وحزت بجانب ذلك شهادة (.M.O.L) وحسب الوعد كتبت إلى عميد كلية التدريب المركزية بلاهور السيد مخدومي بأني نجحت في امتحان « ايم . اي » بالدرجة الأولى ..

تعييني أستاذا في الكلية :

وبعد مدة قليلة تلقيت رسالة من مكتب (.D.P.I) بلاهور بتعييني محاضرا في كلية التدريب المركزية بلاهور وجزى الله السيد مخدومي أن صنع معي هذا المعروف .. وعلى كل فقد ودعت المدرسة العالية الحكومية بمدينة « بوجهال كلان » وباشرت عملي في الكلية منذ ٢٢ سبتمبر ١٩٥٨ م .

أولادي :

في ٢٧ يونيو ١٩٥٨ م ولدت لي ابنة سميتها « جميلة أم كلثوم » وبمن الله عز وجل اجتازت امتحان ايف . اي (F.A.) بدراستها في بيتها وهي محافظة على الصلاة والصيام وبرة بي ، جعلها الله في حرزه وسلامته . وفي ٨ يناير ١٩٦١ م ولد لي ثالث أولادى « طه جميل » ثم ولدت لي بنتان : بشرى كلثوم وراشدة كلثوم (٢٣ فبراير ١٩٦٣ م و ٢٨ يناير ١٩٦٥ م) ، جعلهم الله جميعا مسلمين صادقين ومن عباده الصالحين .. ومن منّ الله عز وجل عليّ أن جميع أولادي محافظون على الصلاة والصيام ، أكرمهم الله تعالى بكامل الإيمان وصدق الولاء لرسالته ودعوته .

القيام بالواجب في كلية التدريب :

وأمضيت أوقاتي بصورة جميلة في الكلية مع المدرسين الذين يتلقون التدريب ، وكنت أرى من واجبي أن أعرفهم – بجانب تدريس العلوم الإسلامية والعربية – بالتقاليد والآداب الإسلامية ، فكان الطلاب المتخرجون من الكلية ، يكتبون إلىّ ، أننا تشبعنا بالروح الإسلامية مع حصولنا على درجة (بي . ايد) فكنت أجد فى ذلك سعادة لا توصف .

في الكلية المتوسطة بـ « كلبرك » :

وفي عام ١٩٦٠ م اجتزت المقابلة الشخصية التي أجرتها معي لجنة الخدمة الشعبية (PUBLIC SERVICE COMMISSION) وبتوفيق الله عز وجل تم تعييني لمنصب مستقل في الكلية الحكومية المتوسطة بـ « كلبرك » ..

امتحان ايم . اي (M.A.) في العلوم الإسلامية :

وخلال مكثي في كلية التدريب كنت قد بدأت الاستعداد لأداء امتحان (M.A.) في العلوم الإسلامية ، واشتركت فيه عام ١٩٥٩ م ، وبفضل الله ومنه ، نجحت بالدرجة الأولى وبالمرتبة الأولى في جامعة البنجاب ، وحصلت على الميدالية .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

تعييني في جامعة البنجاب :

وفي عام ١٩٦١ م شغر منصب محاضر في قسم العلوم الإسلامية في جامعة البنجاب » فتقدمت لذلك بطلب ، وكان عدد المتقدمين الذين اشتركوا في المقابلة الشخصية ١٢ شخصا ، وبمنّ الله عز وجل وقع الاختيار عليّ ، فباشرت عملي في الجامعة في قسم العلوم الإسلامية في ١٥ مارس ١٩٦٢ م ، وقد منحتني الجامعة ثلاث ترقيات إضافية وعهدت إليّ بتدريس الفقه والقرآن الكريم ، وظللت أقوم بمسئوليتي في أمانة تامة وبجهد كامل ، وكان رئيس القسم آنذاك هو العلامة علاء الدين الصديقي رحمه الله .

ترجمة كتاب « الهداية » إلى الأردية :

وكان مقرر الفقه يشتمل على كتاب النكاح وكتاب الطلاق من الكتاب المعروف في الفقه الحنفي « الهداية » فأتممت نقلهما إلى اللغة الأردية السلسة بتعاون من زميلي الكريم البروفيسور بشير أحمد الصديقي ، وتم نشرهما وتوزيعهما بتعاون من المكتبة العلمية (١٥ ليك رود – لاهور–) وقد صدرت للترجمة سبع طبعات فالحمد لله على ذلك .

ترجمة كتاب « أصول الشاشي » إلى الأردية :

وخلال ذلك تم نقل كتاب « أصول الشاشي » في أصول الفقه إلى الأردية وتم نشره وتوزيعه . وبالإضافة إلى ذلك وضعت كتابا مستقلا في ترجمة مجاهد الإسلام الكبير موسى بن نصير ، وقد تناولته أيدي القراء بالقبول . كما أصدرت مجموعة أحاديث نبوية – على صاحبها الصلاة والسلام في الانجليزية باسم (SYINGS OF THE HOLY PROPHET)

ثم طلب اليّ الشيخ عبيد الحق صاحب المكتبة العلمية أن أتم نقل كتاب « الهداية » إلى الأردية ولو بصورة تدريجية ، ولم يكن هذا العمل هينا ميسورا بالنسبة لكاتب هذه السطور بالقياس إلى قصر قامته في العلم ، غير أن توفيق الله

عز وجل حالفني فصدرت بقلمي ترجمة ١٢ بابا من الكتاب ، وهي كتاب الصلاة وكتاب الزكاة ، وكتاب الصوم وكتاب الحج ، وكتاب النكاح ، وكتاب الطلاق ، وكتاب الإيمان ، وكتاب الحدود ، وكتاب اللقيط ، وكتاب السرقة ، وكتاب أدب القاضي ، وكتاب الشهادة ، والجزء الثالث عشر تحت الطبع ، بينما أتممت ترجمة ستة أبواب أخرى بصورة كاملة ، ولم يبق إلا ترجمة البابين الآخيرين وأتضرع إلى الله أن يوفقني لإتمام ترجمتهما كذلك .. أما الطباعة فإن دور الشيخ عبيد الحق في شأنها دور جدير بالإشادة والذكر .. كما أن معاملته غاية فى العطف والكرم ، ويحبني حب الشقيق لشقيقه . بارك الله في تجارته .

شرح ديوان الحماسة :

وإلى جانب ذلك كله فإني الآن منصرف إلى شرح « ديوان الحماسة » وسأوجه عنايتي كلها إلى ذلك بعد ما أنتهي من ترجمة كتاب « الهداية » بإذن الله .

جائزة هيئة تعليمية :

وقد أكرمتني هيئة التعليم للمتوسط والثانوية بـ « سرغودها » بجائزة تقدر بألفي روبية على ثلاثة كتب من ترجمة كتاب « الهداية » ، فالحمد لله على ذلك .

الانتقال من جامعة البنجاب إلى كلية « بوجهال » :

في عام ١٩٦٣ م تم تأسيس كلية متوسطة حكومية في « بوجهال كلان » بمساعي الثري الفاضل السيد عباس خان رحمه الله عضو المجلس المحلي (L.A.M.) ووافق على قيامها حاكم ولاية « البنجاب » ملك أمير محمد خان أحسن الله إليه .. وكان من عادة السيد عباس أنه كان يختلف إليّ بعد كل يومين أو ثلاثة أيام ، ويقول لي : إنه قد تم إقامة كلية في منطقتنا ومن واجبك أن تخدم منطقتك وأخيرا جاء يوم اضطررت فيه أن أخضع لإصرار السيد عباس واخلاصه ، فاستقلت من وظيفتي في جامعة البنجاب في أكتوبر ١٩٦٣ م ، وباشرت عملي منذ ١ نوفمبر ١٩٦٣ م في الكلية الحكومية المتوسطة المشار إليها كمحاضر في العلوم الإسلامية ، وبدأت أقوم بواجب الخدمة نحو منطقتي بكل جهدي وإخلاصي .

انتقالي من « بوجهال » إلى « جكوال » :

وفى عام ١٩٧٣ م صرت أستاذا مساعدا في الكلية ، ولكنني نقلت منها إلى كلية « جكوال » في يونيو ١٩٧٦ م لأسباب سياسية ، ومكثت أقوم فيها بوظيفتى عاما كاملا ، ثم نقلت مرة ثانية من كلية جكوال إلى كلية « بوجهال كلان » في يونيو ١٩٧٧ م ، ولا أزال أعمل فيها ، وكنت آتي إلى بيتي كل يوم لدى مكثي في كلية « جكوال » وكانت الرحلة بين الكلية والبيت تستغرق بالحافلة نحو ساعتين ، ورأيت من المناسب أن لا أضيع وقتي هذا دون شغل ، فكنت أشغل الساعتين – اللتين كنت أمضيهما في الرحلة – في تكرار أسماء الله المقدسة – فأتممت قراءة كل من الأسماء التسعة والتسعين مائة ألف مرة ، كما قرأت اسم الذات « الله » مائة ألف مرة كذلك ، فاكتمل بذلك عدد عشرة ملايين فالحمد لله على ذلك ، وبجانب ذلك قرأت كلا من الكلمة الطيبة «وسلام قولا من رب رحيم » و « فدعا ربه إنى مغلوب فانتصر» مائة ألف مرة كذلك.. والحمد لله رب العالمين الذي وفقني آن أستغل وقتي في التمتع بهذه الكلمات الطيبات ولا أضيعه هدرا .. وكذلك أتممت قراءة سورة الفاتحة مائة ألف مرة ، وجعلت من عادتي ألا أجد فضلا في الوقت إلا وأصرفه في قراءة الصلاة على النبي ﷺ .

الرغبة في الحـج :

كنت أعيش أمنية التشرف بالحج منذ مدة طويلة ، غير أن الدخل المحدود ، والتقيد بالرزق الحلال ، ومصاريف تعليم الأولاد ، والغلاء الفاحش ، منعني من تحقيق أمنيتي الحبيبة هذه ، وكان يزداد شوقي كلما حان موسم الحج كل عام .

وفى أواخر عام ١٩٧٦ م أحيل إلى المعاش أحد أصدقائي من « بوجهال كلان » من وظيفته العسكرية ، وهو « صوبيدار مهر خان » وصار موظفا مدنيا في « كراتشي » .. ولما جاء إلى بيته في الاجازة ، قال لي : إني الآن أعمل موظفا في « كراتشي » وسأحاول أن أنظم رحلتكم إلى الحجاز ، وسأقوم بالمحاولة في هذا الصدد عن طريق « ملك محمد حسين » المقيم فى « كراتشى » .

وازددت شوقا لما سمعت مقالة « ملك مهر خان » واشتعلت في قلبي عاطفة زيارة بيت الله الحرام ، الذي تشرفت في ظله بزيارة النبي ﷺ في المنام ، وسعدت على يديه بالإسلام ، وهاج في قلبي الشوق لكي أراه بعينيّ ، ولكي أزور قبر النبي ﷺ فأجدد إيماني .

الشعـــور بالحرمان :

وكان لهيب الشوق يزداد كلما قرب موسم الحج ، وفي أواخر أكتوبر وافتني رسالة السيد مهر خان ، يقول فيها : إن إجراءات رحلتك للحج قد لا تتم هذا العام ، لأن ظروفاً غيرت مجراها ، بحيث يبدو أن جميع المحاولات التي قمت بها عبر العام فشلت دونما جدوى ، وآلمتني قراءة الرسالة غاية الألم ، واستعبرت عيناي على سوء حظي ، لأن الحلم الجميل قد تبخر قبل أن يحظى بالتعبير ، ولم يعد بعد ذلك طريق إلى تحقيق الأمنية ، وعدت أرى الطرق كلها مسدودة أمامي في ظلمة اليأس والحرمان .

دعاء سيدنا محمد ﷺ :

ثم قلت في نفسي : لماذا هذا اليأس وبارئ الكون هو وليي ، والنبي الكريم ﷺ قال في حقي : « إني أدعو لنجاحك » فلا داعي لليأس ، وإني لعلى يقين كامل بأني سوف لا أواجه فشلا في أى أمر من أمور الحياة ، فقد رأيت أن قول النبي قد تحقق في حياتي الإسلامية مرات كثيرة .

الإنابة إلى الرب الأكرم :

وكان من عادتي ، أني كلما واجهتني صعوبة ، ورأيت الصعوبات قد سدت طريقي ، ورأيت اليأس قد خيم حولي ، أنبت في إخلاص جم إلى ربى الكريم ، وقلت : يا إله العالمين ! أعترف بأني مخطئ مذنب ، وأعترف بأن هذه المصائب وليدة سيئاتي ، إلهى أعترف أن أوقاتاً كثيرة في حياتي قد صرفتها في الغفلة عنك ، وأعترف بعجزي عن أداء حقك ، وأخطائي وذنوبى تفوق العد ، غير أني رغم ذلك كله رجل قد تشرف برؤية حبيبك سيد المرسلين محمد

ﷺ ، وأكرمته بالإسلام وقال لى الرسول : أنا أدعو لنجاحك .. اللهم إنى أسألك أن تزيل الصعوبات والعوائق عن طريقى بشفاعة نبيك الأكرم سيدنا محمد ﷺ .

إجابة الله عز وجل لدعائي :

والحمد لله عز وجل ، اني ما انتهيت من الدعاء حتى اطمأن قلبي ، وقرت نفسي ، وذهب القلق الذي كنت أعيشه .. وذلك كله بفضل رحمة ربي جل وعلا ، ولا أستطيع أن أؤدي حق الشكر والثناء لرب العزة والجلال .

... كان الوقت مساء يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٧٧ م ، وكنت أتناول العشاء بعد صلاة المغرب ، وكان المقرر أن أذهب بولدي في الصباح إلى كلية «حسن أبدال» لإلحاقه بها ، وكان قلبي متألما من الشعور بالحرمان في ضوء الخبر الذي بلغني من كراتشي ، وكان الحزن باديا على وجهي وحاولت قرينتي الحبيبة المخلصة أن تعزيني بأن أرضى بقضاء الله وأستخدم العزم والصبر ولا أفزع ، وقد قرت عواطفي لدقائق بكلمات زوجتي المخلصة ، غير أن جرح قلبي لم يندمل ، وسالت دماء الجرح عن طريق العين في صورة الدموع ، وحاولت أن أمتلك عواطفي إذ رأيت الدموع تسيل من عينيها ، ولما انتهينا من العشاء ذهب الأولاد لينامو في حجرة أخرى ، وقمت لأصلي العشاء ، وأديت الصلاة في خشوع تام لأن القلب كان مجروحا من الحزن واليأس .

واستيقظت لصلاة الفجر ، وصليت الفجر وذهبت إلى « حسن أبدال » ، وقلت لزوجتي : إني قد عرضت طلبى على ربى الليلة ، وأرجو أن يكون قد استجاب ، ولست يائسا من رحمة ربى ، وكانت دموعي تسيل من عينيّ وأنا أتكلم مع زوجتي ، فكانت تنطق بعجزي وقلة حيلتي .

إن قوانين الحب متفردة تماما ، فإنى لم أكن قد تقدمت بطلب رسمي لرحلة الحج ، ولا جمعت المبلغ المحدد لذلك في البنك ، وما كنت أملك من المبلغ ما يغطي مصاريف حجتي ، ورغم ذلك كنت أرجو أن تتاح لي فرصة زيارة بلد الحبيب سيدنا محمد ﷺ ، وقد يحسبني الناس مجنونا يرجو ظهور الحوادث

الماورائية في هذا العالم المرتبط بالأسباب .. إلا أن ظهور مثل هذه الحوادث ليس مستحيلا في عالم الحب والتضرع إلى الله .. وعلى كل حال فقد ودعتني قرينتي بكلمات تعزية مخلصة ، وكان وجهها يشف عن عواطف الحب والمواساة . وقلت لها : إذا كانت أدعيتك المخلصة معي ، فلا داعي للحزن .

البشارة برحلة الحـــج :

اتجهت بولدي إلى « حسن أبدال » يوم ٣١ أكتوبر ، وكان الوقت هو الساعة الحادية عشرة ليلا ، وبينما كنت عنده وكان عدد من أعضاء هيئة تدريس الكلية يحلون معى ، إذ قرع الباب ، ورأيت فإذا هو « ملك محمد إسحاق » وفزع قلبي بطلوعه فجأة ، وسألت الله الخير ، وما إن قابلني حتى هنأني ووضع البرقية في يدي قائلا : إنها تحمل البشرى بسفرك للحج ، وقد تسلمها أهلك اليوم ، وأرسلت لإخبارك والذهاب بك إلى البيت .

ودهشت أمام المعجزة التي صنعتها رحمة ربى ، ولم أدر كيف أحمده سبحانه على نعمته هذه العظيمة ، وكم من نعمة أنعم بها عليّ فعلى أي منها أشكره ؟!

وودّعت الإخوان حالا ، وأسلمت ولدي إليهم ، وبدأت رحلة العودة في الساعة الثانية عشرة ليلا ، ووصلت إلى البيت في الساعة السادسة صباحا وقلت لملك محمد إسحاق ، أذهب إلى « بوجهال » وهيّئ سيارة هناك وأنا أذهب إلى البيت لأجهز نفسي لرحلة الحج .

ووصلت إلى البيت فسألت زوجتي عما أعدَّته للرحلة المباركة ، وكانت قد وضعت الأسباب اللازمة في صندوق ، وسألتها عن المبلغ الموجود في البيت ، فقالت خمسمائة روبية .. وقالت إن هذه الخمسمائة مع مرتبك الشهري الذى سيصل بعد غد ، يكفيان لمصاريف البيت ريثما ترجع من الحج .

بداية الرحلة المباركة :

وصل السيد إسحاق بالسيارة إلى بيتي ، فودعت أهلي ، واتجهت إلى « سركودها » حيث ركبت القطار الذي أوصلني إلى « كراتشي » في ٢ نوفمبر ظهراً ، حيث استقبلني ملك مهرخان على المحطة ، وذهب بى توّا إلى بيت ملك محمد حسين ، وقد أتم مالك محمد حسين هذا ، أوراقي الرسمية اللازمة في ٣ نوفمبر .

في سفينة العرب :

وفي مساء نفس اليوم ركبت سفينة العرب التي اتجهت بى إلى جدة ، وكان السيد صوفي جان محمد رفيقي في هذه الرحلة المقدسة ، بالإضافة إلى عدد من الأصحاب من أهل « بوجهال » وقد أمضيت أسبوع السفر في السفينة في غاية الأمن والسلام ، وبتوفيق الله عز وجل قضيت السفر كله في الصلاة على النبي المدني العربي القرشي ﷺ .. وقد كانت رحلتي المباركة هذه نتيجة دعائه لى .

إلى مدينة الرسول ﷺ :

ولما وصلت السفينة إلى المكان المحاذي ليلملم ، أعلنوا بالإحرام وهناك سألني الإخوان : لماذا لم تتهيأ للإحرام ، قلت لا أحرم الآن لأني أريد أن أذهب أولا إلى مدينة الرسول ﷺ ، حيث أصلي وأسلم على رحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ لأنه هو الذي كان السبب في حضوري إلى هذه الأماكن المقدسة – بعون الله – فلابد من أن أحضر إليه لأشكره ، ثم أذهب إلى مكة المكرمة وأتشرف بالبيت والحرم .

ورضى عدد من الإخوان على إلحاح منى بزيارة مدينة الرسول ﷺ أولا ، ولما وصلنا إلى جدة ، صحبنى عديد من الإخوان من سكان « بوجهال » كذلك ، وأخذنا سيارة الأجرة واتجهنا إلى مدينة سيدنا رسول الله ، وصلينا الظهر لدى فندق فى الطريق .

في مدينة الرسول ﷺ :

ووصلنا عصرًا إلى قريب من المدينة المنورة ، وكانت تبدو منارات مسجد رسول الله عن بعد وكأنها تدعونا للزيارة . وتلهب شوقنا ، فكانت العواطف تجيش في القلوب وتزداد ثورة والتهابا ، ونزلنا من السيارة وأخذنا الأسباب ، واتجهنا إلى روضة النبي ﷺ هرولة ، حتى أصلي العصر في مسجده وبجواره ﷺ .

وإن قلمي ليعجز عن الحالات والانطباعات التي عشتها في المسجد النبوي والروضة النبوية ، فلست أملك من الأهلية الكتابية ما يمكنني من سرد عواطفي ومشاعري على الورق ، فأوجز الكتابة عن حالاتى وانطباعاتى فى الحرمين الشريفين لأني لا أستطيع تفصيلها .

في روضة النبي الكريم ﷺ :

ولما انتهينا من الصلاة حضرنا روضة سيد ولد آدم ورحمة العالم وخاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وسعدنا بالصلاة والسلام عليه ، وكنت دهشا إذ لا أكاد أصدق أن مذنبا مثلي وصل عتبة خير الأنام، ووقفت طويلا أشكر الله على مننه الكبيرة وعلى إكرمه إيّاي بالإسلام ، وعلى دعاء الرسول بنجاحي ، وعلى أنني إذا كنت قد حضرت فبفضل عطفه علىّ ولطفه بى ، وما أسعد اللحظة التى تشرف فيها عبد الله ومحب رسوله بالحضور إلى عتبته ، ولا يسعني أن آتي على ما قاله قلبي ولهج به لساني .

وبقيت واقفا طويلا لدى روضته رغم الزحام الشديد ، وما شعرت به هناك لا يعلمه إلا الله ، وأخذت مكاني في الصف الثاني في المغرب والعشاء .

وأيقظتنى برودة المدينة المنورة في منتصف الليل ، فوصلت إلى روضة رسول الله وظللت أصلي وأسلم عليه طويلا .

وكانت كل ذرة من ذرات مدينة النبي الحبيب محبوبة لدي ، وزرت الأماكن الأثرية المقدسة ، وكنت أود في كل مكان أن أفرش فيه عيني لأنه شرف

بوطء قدمي سيدنا الحبيب ﷺ ، غير أني لست يائسا من رحمة الله ومن شفاعة الرسول فيّ يوم القيامة ، وأنا مبتهج بسعادة حظي حيث أكرمني الله بالقبول وأسعدني بالإسلام ، فأنا واثق بفضله ورحمته ومؤمن بأنه سيشفع فيَّ رسول الله يوم القيامة .

وكان هناك زحام شديد في المدينة المنورة في الأيام التي تشرفنا فيها بزيارتها ، فقد كان المسلمون من أنحاء العالم يتساقطون تساقط الفراش على النور ، وكلما حضرت عند الروضة للصلاة والسلام على النبي ﷺ ، كان الزحام الشديد يجرفني إلى البعيد .

في بيت الله :

غير أن هذه اللحظات المعدودة هي الأخرى كانت أعز متاع في حياتي ، وقضيت من شوقي ولهفي ، حتى قرر الإخوان الرحلة إلى مكة المكرمة ، لأن أيام الحج كانت قد حانت ، وأحرمت في المسجد النبوي – على صاحبه الصلاة والسلام – وبعد صلاة العصر ، حضرت إلى روضة النبي ﷺ وصليت عليه وسلمت ، ثم ارتحلت من الحرم النبوي الشريف .

وتضرعت إلى ربي قائلا : اللهم اجعل زيارتي هذه أول زيارة ، ولا تجعلها آخر زيارة ، اللهم وفقني إلى أن أزور المسجد النبوي وأتشرف بالحضور إلى روضة النبي ﷺ مرة بعد أخرى .

على كل فقد خرجت من المسجد النبوي على غصص ومضض واستأجرت السيارة ومضيت بها إلى مكة المكرمة ، وجلست بجانب السائق لكي يتاح لي أن أتكلم معه بالعربية حتى أتمرن على الكلام بالسرعة .

صلاة المغـــرب :

ووقفنا في الطريق لصلاة المغرب ، وأمروني أن أصلي بهم في هذه الأرض المقدسة ، ولما انتهيت من الركعات المفروضة رأيت صفا طويلا من السيارات ، فقد صلى خلفي أناس كثيرون من شتى البلاد في أرض الله ، ولا أكاد أعبر عن

مدى سروري بهذه السعادة الغالية التي أكرمني الله بها .. والحمد لله أني قد أتيح لي مرات كثيرة أن أؤم الناس في الصلاة ،وكان ذلك مبعث سرور وسعادة لي .

في حضرة الرب عز وعلا :

وقضينا الليلة في الطريق ، ودخلنا مكة المكرمة قبل أذان الفجر بوقت طويل ، وكانت حالة عجيبة من العظمة والجلال تسيطر على القلب والعقل ، نزلنا من السيارة ، ووضعنا أمتعتنا في مكان ، ودخلنا البيت الحرام من جانب الصفا والمروة ، وقد ازداد خفقان قلبي لخوف عجيب لم أدر له سببا ، ووقع نظري على بيت الله فانبهرت ، وكان أول دعاء جرى على لساني هو :

اللهم اجعلني مستجاب الدعوات بفضلك وكرمك ، اللهم تقبل كل دعائي .

الكعبة المشرفـة :

ولا أدرى كيف أصف حالة قلبي عندما وقع نظري على بيت الله المعظم وكان يعلوه الوقار والجلال والتجليات الربانية ، وكنت أباهي بحظي ، إذْ حظيت بزيارة هذا الحرم المقدس والبيت المعظم ، وسعدت بالعمرة بعد ما انتهيت من الصلاة ، وكان جدار الكعبة المشرفة الواقع بين الحطيم وبين الركن اليماني ماثلا في عيني حيث رأيت في المنام سيدنا ونبينا ومولانا محمدا ﷺ موجودا عنده ، وشرفني وكرمني بالإسلام عنده ، وكنت أود أن أظل دائما أنظر إلى هذا المكان المقدس ، ورأيتني كأني موجود الآن أيضا في حضرة النبي ﷺ ، وإن قلمي ليعجز عن أن يعبر عن هذه الكيفية الروحية !!

ميدان عرفـة :

وبعد يومين مضى الإخوان إلى ميدان عرفة راجلين ، ووصلنا إلى عرفة ، مارين بالمزدلفة ومنى وتشرفنا بالحج ، وقضينا الليلة في المزدلفة ، وأتينا في اليوم التالي إلى منى ، حيث قمنا برمي الجمرات وذبح الهدى وانتهينا من مناسك الحج .

الوداع :

وقد تحمل جميع نفقاتي في مكة المكرمة والمدينة المنورة المتعلقة بالمطاعم والمشارب السيد صوفي جان محمد والسيد أمين ، ولم يدعاني أنفق ولا ريالاً .. ثم حان يوم الوداع ، فصلينا العصرفي بيت الله الحرام ، وودعته ، وكان دعائي ههنا كذلك :

اللهم اجعل بعد زيارتي هذه لبيتك زيارت كثيرة .. وما كانت نفسي ترضى بالارتحال ، ولكنه كان قدراً لابد منه .

وما شبعت نفسي من زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولا يزال في قلبي حنين إليهما شديد ، فقد كانت لي حاجات كثيرة ما قضيتها لضيق الوقت ، ولعل الله يجبر هذا النقص بفضله وكرمه .

أمنية العمـــرة :

ولا تزال أمنيتي الكبرى أن يهيئ الله لي التشرف بالعمرة حتى أتمكن من الطواف بالبيت للحد الذى يرضى نفسي وأصلي في بيته الحرام ما أشاء ، وأزور المسجد النبوي وأمكث فى روضة النبي ﷺ القدر الذي يشبع قلبي .

الوصـــول إلى كراتشي :

وفي العودة إلى باكستان ، نزلت لثلاثة أيام في بيت السيد ملك محمد حسين ، بكراتشى ، وفي اليوم الرابع ارتحلنا من كراتشي ، وكنت مدينا لملك محمد حسين بصفة خاصة فيما يتعلق برحلتي هذه المقدسة ، لأنها لم تتم إلا بتعاونه المخلص وجهده الحثيث فجزاه الله خيرا في الدين والدنيا وكذلك جزى الله ملك مهر خان وأعطاه حسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة ، حيث كانت مساعيه الجميلة هى السبب المباشر في رحلتي هذه !!

– وكان جميع أقاربي موجودين على محطة « سركودها » لاستقبالي .. وكان زوج أخت زوجتي السيد إقبال قد أعدّ مأدبة شهية وكبيرة ، وغادرنا

« سركودها » إلى البيت بشيء من التأخير ، حتى أصل في ظلام الليل ولا يراني أحد ، ووصلنا إلى « مياني » وقت العشاء ، وفي البداية دخلت المسجد وصليت ركعات نافلة شكرا لله عز وجل الذي أكرمني بهذه الفرصة الثمينة ، ثم دخلت البيت وقابلت أولادي وأهلي .

تعييني لمنصب عميد الكلية :

وقضيت أياما في مقابلة الإخوان والأصدقاء ، ثم عدت لأتحمل مسئولياتي في الكلية .. ولما ارتحل عميد كليتنا في إجازة تسعة شهور للحج مع جماعة دعوية ، تحملت مسئوليات العمادة ، ولما رجع من الحج والزيارة عين عميدا للكلية بـ « كوجرانواله » وفي ٢٤ ديسمبر ١٩٧٨ م صدر قرار من مصلحة التعليم بتعييني عميدا لكلية « بوجهال » الحكومية .. وكل ذلك كان من مظاهر نعم الله عليّ وفضله .

إحالتي إلى المعاش :

وبقيت أقوم بمسئولياتي كعميد للكلية حتى مايو ١٩٨٢ م ، ثم وصلت في ٣١ مايو ١٩٨٢ م إلى الستين من عمري حسب تسجيل سنة ولادتي في دفتر المدرسة ، فأحلت إلى المعاش .

الاحتفال بتوديعي في الكلية :

وعقدت هيئة تدريس الكلية احتفالا بتوديعي من الكلية فشكرت في حديثي فيه الأساتذة على تعاونهم المثالي وإخلاصهم الفريد ، وركزت على نقطة هامة : وهي أن الموظف عند إحالته إلى المعاش يحتاج من أجل أن يحصل على بدل إحالته للمعاش إلى توفير شهادات شتى ، فمثلا : يضطر أن يحصل من كليته ومن القسم الذي كان يعمل فيه ، ومن مصلحة الضرائب على الدخل على شهادة (N.O.C.) لإثبات أن المحال إلى المعاش لا يلزمه أداء أى من المستحقات نحو الجهات المعنية .. وبعد هذه الإجراءات كلها تتم أوراق بدل التقاعد .. وقياساً على ذلك فإننا إذا ذهبنا إلى الله عز وجل بعد تقاعدنا

عن الحياة ، ولنتقدم بطلب للحصول على بدل التقاعد فاننا نضطر إلى أن نقدم شهادات مختلفة ، تثبت أننا لم نرتكب تقصيرا فيما يتعلق بحقوق الله وحقوق العباد ، ولم نخن في الحقوق الواجبة علينا نحو العائلة والبيت ، والمجتمع والوطن ، وأننا استخدمنا في أداء المسئوليات المفروضة علينا كل ما أمكننا من الأمانة والجد ، ولم نغدر في حياتنا الدنيوية بالله عز وجل وبرسوله ﷺ وبالأهل والعيال ، والأقارب والمجتمع والوطن ، وقنعنا دائما بالرزق الحلال ، ولم نقترف جريمة التكاسل في أداء المسئولية وجريمة الرشوة ، واجتزنا جميع مراحل الحياة في ضوء الكتاب والسنة . فإذا كانت عندنا (N.O.C.) فيما يتصل بجميع الحقوق الواجبة استحققنا بدل الإحالة من الحياة وإلا فلا نحظى إلا بالحرمان ..

اللهم وفقنا لقضاء الحياة في ضوء الكتاب والسنة وقونا لأداء الحقوق والواجبات .

وكان من فضل الله عليّ أن تقدمت إلى عديد من المؤسسات بطلب للعمل عندها ، بعد ما أحلت إلى المعاش من الكلية .. وكنت أفكر فيما يتعلق بالقبول ، إذ أرسل ابني طاهر جميل تأشيرة الزيارة (NG VISA VISITI) لأبويه ، فبدأنا نستعد بعد إتمامنا لإجراءات بدل الإحالة إلى المعاش للرحلة إلى المملكة العربية السعودية ، وسررت بفضل الله علي سرورا لا أكاد أصفه ، حيث أتاح الله لي أن أزور ديار الحبيب ﷺ مرة ثانية .

بدء الرحلة :

وبعد ما أتممت إجراءات التأشيرة والأوراق الأخرى اللازمة ، ركبت الطيارة أنا وزوجتي من مطار «إسلام آباد» يوم ٢١ أغسطس ١٩٨٢ م مساء وقضينا الليلة في فندق مهران بكراتشي في ٢٢ أغسطس ، ووصلنا إلى جدة ظهرا ، وقطعنا الطريق كله في الحمد لله عز وجل والصلاة على النبي ﷺ .

الاتجاه إلى مكة المكرمة :

وانتهينا فى مطار جدة من الإجراءات ، والبحث عن العفش ، فرأيت ابني العزيز الدكتور طاهر جميل واقفا ينتظرني مع زوجته ، وكان هذا اللقاء مبعث

سرور لا يقبل الوصف وأفاض لساني في الدعاء للعزيز بصورة عفوية ، حيث كان هو السبب في زيارتي هذه الثانية لديار الحبيب ﷺ والربوع المقدسة .

وغادرنا المطار إلى فندق في جدة حيث كان ابني العزيز قد استأجر غرفة ، وتناولنا الطعام ، وأحرمنا ، واتجهنا إلى مكة المكرمة وكان القلب يزداد خفقانا كلما قرب البلد الحرام ، وكان لساني يرتفع بهتاف (لبيك اللهم لبيك) ، ووصلنا مكة المكرمة ، فاستأجرنا غرفة في فندق (شوبرا) ، ووضعنا فيها أسبابنا ، ثم اتجهنا إلى الحرم الكريم ، وبما أن زوجتي كانت تتشرف بالزيارة لأول مرة ، كنت أدلها على الأمكنة وأعرفها بالحرم .

في حرم الكعبـــة :

ودخلنا الحرم من باب عبد العزيز ، وما إن وقع نظري على الحرم حتى جرى على لساني الدعاء الذي سبق أن جرى به في الزيارة الأولى : اللهم يا رب الكريم الرحيم اجعلني مستجاب الدعوات ، وكانت عيوني تخونني ، حيث التبس علي المنظر الماثل أمامي من كثرة الدموع المنهمرة منها ، وركعنا ركعتين على مقربة من المطاف شكرا لله عز وجلّ على مننه العظيمة ، ثم طفنا بالبيت المكرم ثم صليت ركعتين لدى مقام إبراهيم ، وتضرعت إلى ربى الأكرم بما وفقني آنذاك ، ثم أتيت بولدي طاهر جميل ووالدته وزوجته إلى الحطيم ، وحددت لهم في جدار الكعبة (فيما بين الحطيم والركن اليماني) المكان الذي أكرمني فيه الله بفضل النبي الكريم سيدنا محمد ﷺ بالإسلام منذ ٤٤ سنة ، وكانت طيلة هذه المدة الماضية منذ أربع وأربعين سنة ماثلة أمام عيني .

وكأنني موجود في حضرة رسول الله الكريم العطوف محمد ﷺ ، وأتشرف بتجديد الإيمان واليقين ، وكانت يداى الضعيفتان المذنبتان في يديه ﷺ ، وكانت نفسي ترتشف حرارة الإيمان عن طريق هذا اللمس .

وتغيرت حالة زوجتي من شدة ما كانت تعيشه فى تلك اللحظة من العواطف والمشاعر ، وارتفعت أيدينا بصورة عفوية للدعاء ، فدعونا لجميع ذوي القربى والإخوان والخلان ، وسألنا الله أن يرزقنا عز وجل حب النبي

ﷺ .. وقلت : اللهم نحن حضور في بيتك ، وضيوف عليك ، فارحمنا ، واعطف علينا وتقبل دعواتنا .. وكنت أدعو الله في غير تكلف وفي حالة رضا وحب .

ثم حظينا بالسعى بين الصفا والمروة ، وكنت أقول في نفسي خلال السعي : إن قدمي النبي ﷺ لابد أن تكونا قد شرفتا هذه البقعة بوطئتها ، ياليتنا قد حظينا بذرة من التراب الذي مشى عليه ﷺ ، وما إن انتهينا من السعي ، حتى ارتفع صوت الأذان المشنف للآذان ، وبعد ما فرغنا من الصلاة توجهنا إلى صحن الحرم المبارك ، ثم عدنا إلى الفندق .

في غار ثور :

واتجهنا في ٢٤ أغسطس لزيارة غار ثور ، وكان الصعود إليه صعبا للغاية ، غير أننا وصلنا إلى القمة ، ودخلنا في الغار الذي أقام فيه النبي الأكرم ﷺ فى معية رفيقة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنزل الله فيه عليهما السكينة .. وقد مثل أمامنا آنذاك مشهد الهجرة وإقامتهما فى هذا الغار المبارك ، وصلينا فيه ركعتين ودعونا الله بخيرى الدنيا والآخرة ، ثم عدنا إلى مكة المكرمة .

اللقاء مع السيد محمد أمين :

وفي اليوم نفسه عاد ابني طاهر جميل إلى « شرورة » حيث كان يعمل موظفا ، وقبل رحيله من مكة المكرمة وصل السيد محمد أمين من الطائف وقضينا الأيام كلها معه حتى الفراغ من أداء الحج .

في حي جيـاد :

وفي ٢٦ أغسطس تركت الفندق ، ونزلت في «حي جياد» عند السيد محمد شفيع خان ، وقد هيئوا لي حجرة مستقلة ، وتحمل محمد شفيع الاهتمام بأمور الطعام ، وأديت لذلك عن كل فرد ألفين ونصف ألف من الريالات ، وبما أننا قد تخلصنا من مشاغل إعداد الطعام فكنت أنا وزوجتي نقضي نحو ست عشرة ساعة كل يوم في الحرم ، نعمرها بالذكر والتلاوة ، فكان ذلك من عناية الله الخالصة بنا .

في المدينة المنورة :

وفي ٤ من سبتمبر حددنا برنامج زيارة المدينة المنورة وكان السيد محمد أمين صاحبنا في هذه الرحلة الكريمة ، وارتحلنا من مكة المكرمة بالحافلة ، وعمرنا الطريق كله بالصلاة على النبي ﷺ ، وكنت قد قررت لدى مغادرتي مكة المكرمة ، أنني سألتزم طول الطريق الصلاة الإبراهيمية التي نقرؤها في الصلوات ، وقد وفقني الله عز وجل أن أحقق إرادتي هذه ووصلنا المدينة المنورة وقد مضى من الليل نصفه ، وكان باب الحرم النبوي قد أغلق ، فاتجهنا إلى المنزل ، وأخذنا حظنا من الراحة .

في حضرة نبي الرحمة :

واتجهنا إلى الحرم النبوي وقت السحر ، وكان الباب مغلقا لحد الآن ، وما أن فتح الباب حتى حضرنا لدى روضة النبي ﷺ ، وصليت عليه وسلمت وبينما كنت أتقدم بالصلاة عليه إذ كثر الزحام الذي جرفني بعيدا عن المواجهة الشريفة .

وكنت قد نويت أن أؤدي أربعين صلاة في المسجد النبوي خلال إقامتي بالمدينة المنورة ، وكان من فضل الله عز وجل أن أتاح لي أن أقضي ١٦ – ١٧ ساعة في المسجد الكريم ، وكنت أسعد بجانب الصلاة بتلاوة القرآن الكريم ، فوفقني الله أن أختم تلاوة القرآن كله ثلاث مرات وأن أسعد بالحضور في المواجهة الشريفة والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ .. وفي ١٢ سبتمبر أخذت سيارة الأجرة ، وتشرفت بزيارة الأماكن التاريخية في المدينة المنورة .

العودة من المدينة المنورة :

وفي ١٣ سبتمبر حضرت إلى النبي ﷺ حضور الوداع ، واتجهنا إلى مكة المكرمة بقلوب ملؤها الحزن واللوعة ، ووصلنا إليها مساء .

وكنت أعمر الأوقات كلها بالصلاة والتلاوة في الحرم المكرم ، وكان بيت الله المكرم دائما أمام عينيّ ، ولا تسل عن اللذة الساحرة التي كنت أشعر بها

آنذاك ، وقد وفقني الله أن أختم القرآن خمس مرات خلال مكثي بمكة المكرمة ، وقد نذرت ثواب هذه الختمات كلها لروح النبي ﷺ .

في منى وعرفة :

وفي ٢٥ سبتمبر اتجهنا إلى منى ، حيث قضينا الليلة ، وغادرناها إلى عرفة في ٢٦ سبتمبر ، وكان معي نساء فنصبت خيمتي على بعد قليل من المسجد ، وكان في مخيمنا نحو ثلاثمائة حاج ، وقد عرفهم السيد أمين بأحوالي وكوني مهتديا إلى الإسلام ، فاختاروني لأكون إمامهم فى الصلوات ،فكان من واجبى بي أن أعطيهم درساً بعد كل صلاة ، وأعلمهم المسائل التي يجب أن يلتزموها في مراحل لاحقة ، وكذلك قمت بمسئولية الإمامة في الصلاة والدعاء يوم الحج في عرفة ، وكنت قد قمت كذلك بمسئولية الإمامة والتدريس خلال الأيام الثلاثة التى قضيناها في منى .

من مكة إلى الطائف وخميس مشيط :

في ٢٩ سبتمبر عدنا من منى إلى مكة المكرمة ، وفي ٣٠ سبتمبر ركبت السيارة أنا والسيد أمين وابني طاهر جميل ووالدته وزوجته متوجهين إلى الطائف ، وكان محمد أمين موظفا في الطائف ، ولما انتهينا إلى ضواحي الطائف تمثل لنا منظر سيدنا محمد ﷺ وهو يقوم بالتبليغ حيث إن الأشقياء لم يحترموا قدره وقذفوه بالحجارة ، مما أدمى جسمه ، ورغم ذلك دعا لهم نبي الرحمة بالخير .. حقا لقد كان عليه السلام بحرا لا ساحل له في الهمة والحلم ، والصبر والثبات ، والرحمة والعطف ، أنزل الله عليه شآبيب رحمته آمين .

وتناولنا الفطور عند صديق السيد أمين : عبد الله على وحشان .. ثم اتجهت أنا وطاهر جميل ووالدته وزوجته إلى خميس مشيط ومكث محمد أمين في الطائف ، وكان طاهر جميل قد ترك سيارته لدى حضوره لأداء مناسك الحج ، في الطائف ، فذهبنا إلى خميس مشيط في تلك السيارة وكانت المسافة بينها وبين الطائف نحو ستمائة كيلو متر وكانت الطريق جبلية خضراء ، ووصلنا إليها عشاء ، فنزلنا فيها عند جارنا في قريتي الحاج فضل أحمد الذي كان يعمل موظفا

فيها ، وفي اليوم الثاني ٢٢ أكتوبر اتجهنا إلى شرورة بالسيارة ، وكان الطريق فيما بين خميس ونجران جبليا ، وفيما بين نجران وشرورة صحراويا وكنا نقف في الطريق لأداء الصلاة ، ثم نمضي ، فوصلنا إلى شرورة عشاء واستجممنا في منزل العزيز طاهر جميل ، وكانت شرورة على نحو ستمائة كيلو متر من خميس مشيط .

في شرورة :

وفي اليوم الثاني ذهبت مع ابني العزيز طاهر جميل إلى (H.C.M.) وتعرفت على الأطباء الباكستانيين ، وكانوا يعرفونني جميعا عن غيب، وفي اليوم الثالث زرت معسكر شرورة وذهبنا في المساء إلى (وديعة) الواقعة على حدود اليمن .

وما أطيب أرض المملكة العربية السعودية ، التي تحتضن بيت الله الحرام والمسجد النبوي وقبر النبي ﷺ ، ويخيم عليها الأمن والسلام ، فليس فيها خطر السرقة والنهب ، وينام الكل فيها في الطمأنينة ، وهي الدولة الوحيدة في أرض الله التى تطبق الشريعة الإسلامية في الواقع العملي ، ولو طبقت الشريعة في بلادنا لتطهر مجتمعنا من المفاسد .

العودة إلى جدة :

وقضينا نحو عشرة أيام مع ابني في شرورة ، وفي ١٣ أكتوبر أتينا إلى جدة بالطيارة وكان فى المطار محمد أمين ومن سكان قريتي سلطان اسكندر وأمير أفسر يستقبلونني ، وكان سلطان اسكندر قد هيأ لي المنزل لقضاء الليلة في جدة ، غير أننا اتجهنا إلى مكة المكرمة لأداء العمرة ، فتشرفنا بها ، وقضينا الليلة في حجرتي في جياد .

طواف الوداع :

وفي ١٤ أكتوبر أدينا طواف الوداع ، وعند وداعنا لبيت الله الحرام ، دعوت الله عز وجل قائلاً : اللهم ! وفقنى بمنك وكرمك أن أزور بيتك مرة بعد

أخرى ، وكانت زوجتي تنتحب ملتزمة جدار البيت المكرم وخرجنا من الحرم بقلوب باكية وعيون دامعة ، ونفوس متحرقة وأخذنا سيارة الأجرة إلى جدة ، واشترينا من سوق جدة الحوائج ، وقضينا الليلة في جدة ، وجزى الله محمد أمين خير الجزاء فقد هيأ لنا كل راحة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

من جدة إلى كراتشي وراولبندي :

وفي ١٥ أكتوبر ١٩٨٢ م ركبنا من جدة ظهرا طيارة الخطوط الجوية الباكستانية ، وصلنا مساء إلى كراتشي ، وقد خلصنا رجال الجمرك في سرعة ، ثم ركبنا الطيارة إلى راولبندي ونزلنا فى مطار إسلام آباد في الساعة الحادية عشرة ليلا ، وكان في استقبالي فى المطار إخوان وجهاء ، وكان ملك محمد نواز – وهو من أخلص أصدقائي ورفقائي في السفر والحضر – موجودا بسيارته ، وكذلك كان (ملك نواز) قد أرسل لي سيارته ، ولكنني لقيت أولا أخي المخلص العطوف (أحسن عالم) المحترم ، وقلت له : لماذا تجشمت المشقة في نصف الليل هذا ؟ قال إن حضوري كان سعادة لي ، أكرمه الله بمنه وكرمه .

واتجهنا من المطار في الساعة الثانية عشرة ، ووصلنا في الساعة الثالثة صباح ١٦ أكتوبر ١٩٨٢ م في سلامة الله وعافيته .

وكانت زوجتى تصحبنى في هذه الرحلة ، وكنت أخاف أن أواجه الصعوبات من أجلها في سفري ، غير أن الله عز وجل هيأ لنا كل راحة فلم تشكنا شوكة منذ أن خرجنا من البيت إلى أن اعدنا إليه .. وجزى الله ابني طاهر جميل وأغدق عليه نعمة ظاهرة وباطنة حيث وفر لي كل سهولة في كل خطوة ..

قبل الإسلام وبعده :

ولاحظت الكثير من التغيرات الفكرية والروحانية بعد اعتناقي الإسلام ، فقد كنت قبل الإسلام طفلا متوسط الذكاء والفكر ، لكن الإسلام غير مجرى تفكيري وإدراكي ، فدخل على عقلي وفكري تطور جديد وصقل ملموس ..

وقد فزت في كل امتحان بعد ما أسلمت بالدرجة الأولى ، وفي أغلب الأحيان بمرتبة الشرف الأولى ، فلدي الآن ثلاث ميداليات ذهبية ، وميداليتان من الفضة ، حصلت عليها في مختلف امتحانات الجامعات ، وكل ذلك إنما يرجع الفضل فيه إلى الإسلام .

والمنهج الدراسي النظامي للتعليم الديني المتداول في شبه القارة الهندية يتمه الطالب العادي في نحو عشرة أعوام ، وقد أتممته في ظرف ستة أعوام فقط .

أوفياء الإسلام المخلصون :

وزادني الإسلام شرفا ورفع رأسي في المحافل ، رغم أنني فارقت بيت أبوي الفاره في صباي ، وخرجت منه وحدي ، غير أن أبناء الإسلام الأوفياء وعشاقه المخلصين ، منحوني عطف الأبوين ، ووجدت من صفوة الأصدقاء والخلان الأوفياء من أنسوني الحب والعطف اللذين كان لي أن أتمتع بهما في بيتي .. وهؤلاء هم الذين تكفلوا منذ ١٩٣٨ م إلى ١٩٤٨ بجميع نفقاتي وتحملوا جميع مصاريفي التعليمية والتربوية ، ووفروا لي كل سهولة وراحة وتسهيلات حياتية احتجت إليها .. وما منيت بقلة ذات اليد أو أزمة مالية منذ أن فارقت بيتي ، فقد أعطاني الله عز وجل فوق ما احتجت إليه ، وما أتى علي يوم منذ أن اهتديت إلى الإسلام احتجت فيه أن أتسول أمام الناس وأقول لهم إني حديث عهد بالإسلام أحتاج إلى مبراتكم وخيراتكم ..

ولما بدأت أعمل في مصلحة التعليم ، قلت لإخواني هؤلاء : إني صرت الآن موظفا وبدأت أكسب لقمة العيش بنفسي ، فلا يجوز لي أن آخذ منكم بيسة ، وجزاكم الله خيرا على تعاونكم معي خلال عشر سنوات .

ومنذ أن صدر كتابي هذا « من الظلمات إلى النور » كثر الإخوان والأصدقاء عن ذي قبل ، وفيهم من لم يتم بيني وبينهم اللقاء لحد الآن ، ولكنهم يراسلونني ، وكثير منهم تجشموا مشاق السفر من أجل زيارتي ومقابلتي .

ولما نشرت مجلة « أردو دايجست » الشهرية ترجمة حياتي في ثلاث حلقات – منذ أكتوبر حتى ديسمبر ١٩٨٠ م – وردت عليّ رسائل تترى

من داخل البلاد وخارجها ، ولا تزال سلسلة المراسلات مستمرة وفى ازدياد وقد ساعد على هذا ، محطة إذاعة باكستان إسلام آباد التي أذاعت الحوار الذي أجرته معي على أساس كتابي « من الظلمات إلى النور » والذي نظمه الحاج محمد صادق مدير الأذاعة .

أما الكتاب فقد تلقته الأيدي بالقبول بصورة غير متوقعة جدا ، ونفدت له لحد كتابة هذه السطور في مدة قليلة سبع طبعات .. وتم نقله إلى اللغة الإنجليزية والهندية والسندية ، وجزى الله جميع الذين ساهموا في إخراجه في الأردية وغير الأردية .

واجب الدعوة والتبليغ :

وقد لاحظت أن المسلمين عندما يقرءون كتابي هذا تدفعهم عواطفهم الدينية إلى أن يدعوني لألقاء محاضرات بين الجمهور ، ولذلك أضطر في الأغلب إلى أن أسافر لألقاء المحاضرة في مكان وآخر ، وعلى ذلك فأسعد بالقيام بواجب الدعوة والتبليغ .. وشعرت أن الأخوة المسلمين تؤثر فيهم محاضراتي البسيطة .. إن جمهور المسلمين – ولله الحمد – يتمتعون بعواطف رفيعة لخدمة الدين والانتصار له ، وإنما يحتاجون من أجل نقلها إلى واقع عملي حي إلى قيادة صالحة مخلصة وفية ، ولو تيسر لنا زعماء وقادة على هذه المواصفات ، لكانت بلادنا صورة حية قوية للإسلام .

وأحمد الله أنه وفقني أن أضع نصب عيني – خلال أدائي لواجب الدعوة والتبليغ – المبدأ المقدس الذي اتبعه الأنبياء الكرام دائما ، وهو « ما أسألكم عليه من أجر .. » فأنا أقوم بهذه المسئولية ابتغاء وجه الله ورضا رسوله ﷺ ولإصلاح آخرتي ، ليس إلا .

الخدمات الدينية – واجب الوعظ والخطابة في « بوجهال » :

عندما انتهيت من تحصيل العلوم الدينية جعلني الله عز وجل ألتفت إلى واجب الدعوة الإسلامية ، فقمت بالإمامة والخطابة منذ عام ١٩٤٨ م حتى

١٩٥٨ م في جامع « بوجهال كلان » ومكثت أبلغ إلى الناس عن هذا الطريق أحكام الله وأحكام رسوله ، وحرمت على نفسي أن آخذ أي مكافأة مقابل هذه الخدمة .. وصانني الله عز وجل دائما عن أن أتقاضى مكافأة مقابل الدعوة الإسلامية !!

القيام بتفسير القرآن الكريم بـ « لاهور » :

مكثت منذ ١٩٥٨ م حتى ١٩٦٣ في « لاهور » وبقيت أقوم خلال هذه المدة بتفسير القرآن الكريم أمام حضور المسلمين في مسجد بالمدينة ، وكذلك كنت أقوم بتفسير موجز لما يتلى من القرآن في صلاة التراويح في شهر رمضان المبارك ، بعد كل أربع ركعات .. وبمناسبة أول رمضان المبارك الذي قضيته بينهم جمعوا لي مبلغ خمسمائة روبية ، قلت لهم إني موظف في مصلحة التعليم وأتقاضي منها مرتبا شهريا أقضي به حوائجي ، فأنا أتبرع بهذه الخمسمائة روبية لتدفعوها في صندوق بناء المسجد !!

تفسير القرآن الكريم في جامع « مياني » :

ورجعت في أواخر ١٩٦٣ م إلى « مياني » وبدأت أقوم في مسجد حارتي بتفسير القرآن الكريم وإلقاء دروسه أمام الناس ، وكذلك دروس مشكاة المصابيح ، وبالإمامة والخطابة يوم الجمعة ، وكان المسجد قد بلى وتداعى بنيانه ، فالتفت إلى بنائه ، وبذلت في هذا السبيل جهودا حثيثة ، وقد أثمرت الجهود بفضل الله وحده ، وتم بناء المسجد من جديد .. ومكثت أقوم فيه بواجب الخطابة والوعظ وإلقاء الدروس حتى عام ١٩٧٦ م .

القيام بالخطابة والوعظ في جامع « بوجهال » :

واتفق أن سافر خطيب جامع « بوجهال » لبعض حوائجه خارج المدينة ، فدعاني سكان « بوجهال » لخدمة المسجد ، وكان هناك اختلاف بين المسلمين جعلهم يصلون الجمعة في ثلاثة مساجد .. فبذلت جهدي لأجمعهم في جامع المدينة حتى يصلوا الجمعة مجتمعين في جماعة كبيرة ، وبفضل الله ومنه تكلل

جهدي بالنجاح ، و كان اليوم الذي اجتمعوا فيه في الجامع يوم سعادة غير قابلة للوصف بالنسبة إليّ ، وكان يوما مشهودا وتاريخيا في حياة أهل « بوجهال » .

الاهتمام بإقامة الجمعة فى موقف السيارات بـ « مياني » :

ثم سعينا جميعا للبحث عن إمام وخطيب للجمعة لجامع « بوجهال » والحمد لله فقد وفقنا في ذلك .. ثم لفت الإخوان نظرى إلى مسجد بموقف السيارات بـ « مياني » كان مهجورا منذ وقت طويل ، فبدأت الاهتمام بإقامة الصلاة فيه ، وعدت أؤم المصلين فيه منذ أربع سنوات ، وكذلك أصلي بهم التراويح في شهر رمضان المبارك ، واجتهدت أن أوسع المسجد لأن المصلين في تزايد مستمر ، وقد ذكر لنا صاحب الأرض المجاورة للمسجد أنه سيسعد بمنحنا ما نحتاج إليه من الأرض من أجل توسعته .

بناء المسجد في الكلية :

وقد أكرمني الله بالتوفيق لبناء المسجد في داخل الكلية الحكومية بمدينة « بوجهال كلان » وأول من قدم تبرعه الكريم لبنائه أستاذي المكرم الحاج فضل أحمد ، فقد تبرع بمبلغ ألف روبية .. ثم ساهم في ذلك كثير من الإخوان ، كل حسب إمكانيته وقدرته : فجزاهم الله أحسن الجزاء .. ووفر أحد الإخوة وهو « ميان سلطان » صاحب خدمة الحافلات مواد البناء من الحديد والأسمنت والطوب وما إلى ذلك .

زيارة العلماء الكـرام :

وقد سعدت في حياتي الإسلامية بزيارة كثير من علماء الحق والصلحاء من عباد الله ، واستفدت كثيرا من صحبة الشيخ القاضي شمس الدين والشيخ محمد فاضل .. وخلال تحصيلي بالجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند (الهند) تركت فيّ شخصية العلامة المقرئ الشيخ محمد طيب رئيس الجامعة الإسلامية سابقا ، وشيخ الأدب والفقه محمد إعزاز علي رحمهما الله تعالى ، أثرا كبيرا ، وكنت أؤدي صلاة الجمعة بانتظام خلف الشيخ محمد طيب وكان يصلى الجمعة

في جامع مدينة ديوبند الواقع خارج المحيط الجامعي ، وتتلمذت على شيخ الأدب والفقه الشيخ (محمد إعزاز علي) هو الذي بعث في الحرص على الأدب والفقه ، وهو الذى أثار فيّ التذوق العلمي والأدبي والفقهي .

وبساطة الشيخ حسين علي رحمه الله وورعه وتقواه ، وتعمقه في الكتاب والسنة ، علمتني الشيء الكثير الذي لا يحصى ، وكان تأثري غير قابل للوصف من جرأة السيد عناية الله شاه البخاري ، وصدعه بالحق وزهده وتقواه .. وكان من عادتي وعادة أخي محمد أمين أننا ما سمعنا بوجود رجل صالح إلا ذهبنا إليه ، وسعدنا بصحبته والاستفادة منه .. وفقنا الله أن ننهج منهجهم ونسير على دربهم ، وغفر لنا معهم .

التمييز بين الحلال والحرام :

والدرس الذي تلقيناه من خلال تعاليم الإسلام بشأن التفرقة بين الحلال والحرام لا عهد لأي ديانة في العالم به . والعناية التي ركزها الإسلام على أهمية حقوق الله وحقوق العباد ، لم يركز عشر معشارها أي دين من الأديان ، وقد قرر الإسلام أن الكسب الحلال هو العمل الأسمى الأعلى .. جاء مرويا عن رافع ابن خديج رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه سئل : « أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده .. وجاء مرويا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غذي بالحرام » (مشكاة المصابيح) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله تعالى له صلاة ما دام عليه » (مشكاة المصابيح ، باب الكسب وطلب الحلال) . وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت ، وكل لحم نبت من السحت كانت النار أولى به » .

الاجتناب عن المشتبهات :

وفوق ذلك علمتنا الشريعة الإسلامية أن نحترز كل الاحتراز عن الأشياء المشتبه فيها ، فقالت : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » ومعنى ذلك أن نحترز من

الأشياء التي نشك فيما إذا كانت حلالا أو حراما ، وأن لا نأتي إلا ما كان حلالا مؤكدا وقاطعا ، لأن الأشياء المشتبه فيها قد تؤدي بالتالي إلى الأشياء المحرمة .

أهمية حقوق العباد :

أما بالنسبة إلى حقوق العباد ، فإن تعامل الناس بعضهم مع بعض يحتل المكانة الرئيسية .. فقد قال الرسول ﷺ فيما يتعلق بأداء الدين – كما جاء مرويا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه – يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين » (رواه مسلم) .

إن التضحية بالنفس في سبيل الله وابتغاء وجهه ، عمل جليل ، جليل جدا ، كما قرره الإسلام ، وجاءت الإشادة بذلك فى كتاب رب العالمين لكن هذا الشهيد الذي سعد بهذه المكانة العظيمة الرفيعة عند ربه ، إذا جاء ربه يحمل معه ذنب عدم أداء دين إلى صاحبه ، لا يغفر له ذلك ، حتى يؤديه عنه وارثوه .. ولا أدل من ذلك على أهمية حقوق العباد في الإسلام .

وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»(رواه مسلم) .

إن التقصير فيما يتعلق بحقوق الله ، ينجبر بالتوبة والاستغفار إلا أن التقصير فيما يتصل بحقوق العباد لا يمكن أن يتم تلافيه حتى يعفو صاحب الحق بنفسه ، أو يؤدي إليه ذلك الحق .

المودة والأخوة :

وكذلك فإن تعاليم الإسلام نحو الأخوة والمودة وجو الأمن والسلام في

المجتمع ، منقطعة النظير ، لا يعرفها غيره من الأديان . وما قاله الرسول ﷺ في هذا الصدد منارة نور شامخة . فقد جاء فيما قال : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

.. وكل إنسان يود أن ينظر الناس إلى أمه وأخته وحرمه نظرة الاحترام فيجب عليه هو الآخر أن يعامل الناس هذه المعاملة ..

وكل إنسان يود أن يحصل على الحوائج من السوق ، خالصة وصحيحة وبسعر مناسب ، وبوزن صحيح ، وفي وقت الحاجة إليها دونما تأخير ، وأن لا يدخرها التجار وأن لا يبيعوها في السوق السوداء ، فيجب عليه كذلك أن لا يصنعن ذلك – إذا كان تاجرا – وأن لا يغش ، ولا يبخس في الكيل والميزان ، ولا يبيع بالأسعار الغالية ، ولا يرتكب جريمة الادخار أو الاحتكار ، وأن يحترز عن السوق السوداء .

وكل إنسان يود أن يعامله الناس بالأمانة والصدق ، ولا يحب أن يظلمه أحد ، أو يغمط حقه ، أو يضيعه بالرشوة أو المحسوبية أو التوصية غير الشرعية ، وبالتالى يجب عليه كذلك أن يعامل الناس بالأمانة والصدق والعدل ، ولا يظلم أحدا ، ولا يؤذيه بالرشوة أو المحسوبية والمجاملة الحرام ، وأن يغمط حقوق الآخرين بالاحتيال .

ولو تقيدنا بتعليم واحد نبوي في هذه الشأن وهو : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » لاستطعنا أن نستأصل كل مفسدة في مجتمعنا ، ويعود مجتمعنا نقيا طاهرا نظيفا عادلا يجد فيه كل فرد ما يتوخاه من الحق العادل ، والطمأنينة المرضية ، والأمن المشبع ، والسلام المقنع ، يستطيع فيه الجميع أن يحافظ على عزه وحرمته ، ولا تمس فيه الحاجة إلى الرجم أو قطع اليد ، أو الضرب بالسياط .

إن الإسلام يقدم علاج كل مفسدة في ضوء الكتاب والسنة ، ولو أخذنا بمبادئهما الذهبية ، وجعلناها هادينا في طريق الحياة بمعني الكلمة ، لاستطعنا أن نجعل مجتمعنا جنة الوحدة والتضامن والوئام ، والأخوة والمودة ، والمساواة والمواساة ، والأمن والسلام .

الشعور بالمسئولية نحو أداء الوظيفة :

وكان من معطيات تعاليم الإسلام الذهبية هذه ، أنه يوجد في بيتي كل شيء أحتاج إليه ، ولا يوجد شيء أتى عن طريق الحرام – أحمد الله ربى على ذلك – أما بالنسبة إلى عملي في مصلحة التعليم فإن الله يعلم أني ما أضعت حصة من الحصص الدراسية في غير التعليم والتدريس أو فى غير ما يتعلق بتربية الطلاب ، لأن ديني هو الذي علمني أنه لا يجوز لي أن أضيع لحظة من لحظات العمل والوظيفة ، لأن أجرة هذه اللحظات الضائعة تعود حراما لي ، وبالتالي تجعل جميع مرتبي حراما ، إنه من تأثير الإسلام الذي أعزنى وأكرمني ورفعني من الحضيض إلى القمة ، إن أداء المسئولية يعتبر حجر الزاوية في بناء الإيمان وتنميته .

ولو أخذنا بهذا المبدأ السامي – نحن الباكستانيين – لاستطعنا في مدة قليلة أن نجعل وطننا الحبيب يقف في صف البلاد المتقدمة .. وفقنا الله لأداء مسئولياتنا وواجباتنا كاملة غير منقوصة ، حتى نكون قد أدينا دورنا الواجب في بناء الوطن وخدمة الأمة والدين ، وقدمنا لغير المسلمين نموذجا يحتذى مثل الذي قدمه الصحابة الكرام ، وأئمة الدين ، ورجال الدعوة والفكر في الإسلام .. حتى أن خلقهم العظيم. وسلوكهم المستقيم ، وتعاملهم الطيب ، وشعورهم بالمسئولية رفع القطاع العريض من البشرية إلى الإسلام .

بين بايزيد البسطامي ورفيقه المسيحي :

إن هذا الإسلام هو الذي أوجد مثل بايزيد البسطامي .. وكان من قصته أنه كان ذات مرة في سفر ، وصحبه فيه أحد المسيحيين ، ولما حان وقت الغداء قال بايزيد لرفيقه : إنه قد حان وقت الغداء ، فاطلبه في إحدى القرى الماثلة أمامنا ، فقال رفيقه المسيحي : أنت رجل صالح لك صلة قوية بالله فادع الله أن يهيئ الطعام .

هنا نهض بايزيد ، وصلى ركعتين ، وأناب إلى ربه يقول : اللهم إن هذا يريد أن يمتحن دينى، فلا تخذل ديني وهيئ لنا الطعام حتى لا أندم أمامه ،

وما أن انتهى من الدعاء حتى رأى رجلا قد حضر بأربعة من الخبز وإدام ، فشبعا ، ومضيا في الطريق .

وفي المساء قال المسيحي لبايزيد : أنا أهيئ العشاء .. ورفع يديه يدعو الله ، وما أن فرغ من الدعاء حتى وجد رجلا قد أتى بثمانية من الخبز وضعف إدام الغذاء المذكور .

فدهش بايزيد ، وسأل رفيقه ماذا سألت في الدعاء قال : أولا أدخلني في الإسلام ، ثم أعرض عليك تفصيل الدعاء ، فأقرأه الكلمة الطيبة ، فقال : كنت دعوت الله : اللهم إذا كان الإسلام دينا صادقا ، وكان بايزيد عبدا من عبادك الصالحين المرضيين لديك ، فهيئ لنا ضعف طعام الغذاء .

إن تعاليم الإسلام أخرجت ملايين ممن يعتبرون غرة في جبين البشرية ودرة يتيمة في تاريخ الكون ، ومفخرة للإنسانية .

التوحيـــد :

والميزة الأساسية للإسلام هى توحيد الله عز وجل ، على حين أن جميع الديانات اليوم لا تملك التصور الصحيح للتوحيد، وعقيدة إفراد الله بالعبادة والعبودية ، ففي بعضها تحتل الوثنية المكانة الأولى والأهمية القصوى ، وفي بعضها يتحكم التثليث ، وفي بعضها التثنية ، ويسود الشرك والكفر معظم أقطار العالم البشري .

وقد جاء الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام يعلمون الناس التوحيد والخضوع أمام الرب الواحد القهار ، يقول الله عز وجل ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ (الأنبياء) غير أن كثيرا من أفراد الأمة ظلوا يشوهون تعاليم أنبيائهم بعد ما لحقوا بربهم ، وضلوا وأضلوا الناس ، واتبعوا هواهم ، وتاهوا في أودية الشرك والكفر والضلال .

ولا تستطيع ديانة ما على وجه الأرض أن تدعى – سوى الإسلام – أن الكتاب المنزل من الله موجود عندها في صورته الأصلية الصحيحة .. فسواء

أكانت التوراة أو الأنجيل أو الزبور ، كلها قد تعرض للتحريف اللفظي والمعنوي كليهما .. والإسلام وحده يحظى بشرف الاحتفاظ بكتابه في صورته الأصلية سالما غير مخدوش ، وفوق ذلك استطاع الإسلام أن يبقى على ارشادات رسوله وتعاليمه وأقواله وأحكامه دونما نقص أو زيادة .. وقد شهد بذلك الدارسون والباحثون من غير المسلمين كذلك .. واعترفوا بهذه الميزة التى يستأثر بها الإسلام .

ونحن نستطيع أن نقول في افتخار واعتزاز إن الإسلام وحده اليوم يحمل لواء التوحيد الذي يقوم على أساس لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ومعنى التوحيد أن الله وحده لا شريك له في ذاته وصفاته ، وأنه هو الذي صنع الكون ، وخلق الخلق ، ودبر الأمر ، ويتصرف في الأكوان ، ولا يشترك في ذاته وصفاته أي من الأنبياء أو الأولياء أو الرسل ، أو الفقراء أو الأثرياء ، أو الحكام والأمراء ، أو الحيوانات وغير الحيوانات ، وأنه هو الذي أوجدنا من العدم وهو الذي يحل جميع مشكلاتنا وقضايانا ، ويزيل مصائبنا ويقضي حاجاتنا ، ويقدر على تقدمنا وسقوطنا ، وهو العليم الخبير الذي يعلم السر وأخفى ويعلم ما في الصدور ولا تسقط ورقة إلا بعلمه ﴿ **إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾ (آل عمران) .

وهو وحده الجدير بالعبادة والعبودية ، والذي يستحق أن يخضع له الخلق ، ويستحق أن يقدم المرء الصدقات والزكاة من أجل رضاه ، والخلق جميعا محتاجون إليه ، رسولا كان أو نبيا ، جنا كان أو بشرا أو ملكا ، صحابيا كان أو وليا ، ملكا كان أو مملوكا ، حاكما كان أو محكوما .. وقد جاء بيان التوحيد في جلاء ووضوح في سورة الإخلاص بما يلي : ﴿ **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ .

مكانة النبوة :

ورسالة التوحيد هذه بلغت الكون عن طريق نبي آخر الزمان سيدنا محمد ﷺ ، الذي يتمتع في الكون بالمكانة السامية العليا والأولى بين البشر .. إنه هو الذي عرض تفسيرا عمليا للتعاليم الإسلامية ، وقدم نموذجا للرسالة الإلهية التي

بلغها إلى الخلق : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ الأحزاب .

ولا تزال أسوته العملية موجودة لدينا في صورة الحديث الشريف والسيرة والسنة المطهرة .. وقد بعث الأنبياء من قبله إلى أممهم ولكنه بعث إلى الخلق كافة ، يقول الله عز وجل : ﴿**وأرسلناك للناس رسولا**﴾ فلا تخص نبوته قارة دون قارة ، أو قوما دون قوم ، أو جيلا دون جيل ، أو جنسا دون جنس ، بل إن رسالته عامة شاملة لجميع أفراد البشرية على وجه الأرض ، وإلى يوم القيامة .

وبما أن دعوته ورسالته لم تكن خاصة بمكان وزمان محدودين ، فقد صانها الله عز وجل عن كل تبديل وتغيير وزيادة ونقص وتشويه ، وبما أنها كانت باقية بقاء الدنيا فقد قال الله عز وتبارك : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (المائدة) .

ختم النبوة :

إن تمام الدين وختم النبوة يستوجب أحدهما الآخر ، ولذلك كان انقطاع النبوة بعده ﷺ ضروريا وحتميا ، لأن الناقص هو الذي يحتاج إلى من يكمله ، فإذا كان الدين قد اكتمل به ﷺ فيجب أن لا تكون هناك حاجة أبداً إلى نبي أو مرسل بعده .

القيامـة :

الإيمان بالقيامة جزء من الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، وهذا الإيمان إنما يجب حتى يتأكد المرء قبل كل خطوة يخطوها في الحياة أنه سيحاسب عليها يوم القيامة حين يقوم لرب العالمين .. ولذلك كان الإيمان بالقيامة سدا منيعا بين العبد وبين السيئات مما يصون العبد من أن يحوم حولها كالفرس الجامح ، لأن الخوف من الحساب دائما يوقظ ضميره وينير قلبه ، ويثير فيه الوازع الديني الذي يأخذ بحجزه عن السيئات ويدفعه إلى الحسنات .

وتصور القيامة هذا الذي أعطانا الإسلام لإصلاح أعمالنا ومحاسبة أنفسنا ، وتسديد خطانا ، لا يوجد في أي ديانة من الأديان .

الصحابة الكرام رضي الله عنهم :

أكرم الله عز وجل سيدنا محمدا ﷺ بالنبوة كما أكرمه برسالته الخالدة في صورة كتابه العظيم : القرآن الكريم ، وضمن له الحفظ والصيانة ليوم الدين ، وكذلك اجتبى له من الأصحاب من ينقطع نظيرهم في أي دين من الأديان بالقياس إلى التفاني في سبيل الدين والتضحية في سبيله ، والمغامرة في سبيل نشره وتبليغه والمخاطرة في سبيل إعلاء كلمة الله ، حقا إنهم هم الذين تعاهدوا شجرة الإسلام بالسقى والري بدمائهم الزكية .. وتلاهم من تبعهم بإحسان ممن ساروا على دربهم وبذلوا فى سبيل خدمة الإسلام كل غال ورخيص .

من معطيات الإسلام :

وقد تمتعت بعد ما اعتنقت الإسلام بكل نوع من الراحة والطمأنينة القلبية والفكرية والروحية ، وإني لفخور باعتناقي الإسلام ، وأعتبر نفسي محظوظاً وسعيدا للغاية بصفتي مسلما ومنضوياً تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .. إن الإسلام وحده يحمل كل نوع من الحقية والصدق ، وكتابه القرآن سيظل ينور القلوب بمدده الذي لا ينفد وبعجائبه التي لا تنقضي إلى يوم القيامة .

أما الأخوة المسلمون فقد آلمني بصددهم أمران أشد الإيلام، فعندما أناقش غير المسلمين يقولون : إنك ارتميت في حضن دين يتكاسل أبناؤه عن العمل ويتقاعدون عن التحرك في الحياة . وهذا الدين لم يستطع أن يجمع أتباعه على رصيف واحد .. والله إن رأسي لتخضع حياء عندما يواجهونني بمثل هذا الكلام ..

وهذا هو الأمر الأول المخزى في حياة المسلمين المعاصرين .. أما الأمر الثاني فهو عنصرية وعصبية بعض المسلمين .

إن هذه الطبقية المشينة البغيضة المتنتة تؤلمني أشد ما يكون الإيلام ، أليست سبة عار على جبين الإسلام الأغر الأبلج ، أو لم يعطنا الإسلام درس الأخوة والمساواة، والوحدة والاتفاق ، والصبر والاحتمال ، والتسامح والصفح ، أوَ نسينا

ما أوصانا الله به عز وجلّ قائلا : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** ﴾ (آل عمران ١٠٣) .

إن الإسلام جاء بتأليف القلوب ، فجعل الأعداء المتحاربين يتحابون ويتعاونون ، ويؤثر بعضهم البعض على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. حوّل العداء إخاء ، والخصومة صداقة ، والحرب سلاما ..

إن التاريخ البشري عجز عن أن يقدم نظيرا للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي أقامها الرسول ﷺ والتي كانت إحدى ثمرات الإيمان الصادق والولاء الصافي والحب الأكيد للإسلام ولنبيه عليه الصلاة والسلام وإيثار رضاه على كل ما لذ وطاب في الحياة .

إن سلفنا ما كانوا يؤذون الأعداء والأجانب ، وعدنا نحن ندمي قلوب الإخوان والأقارب ، أو لم يأمرنا الإسلام أمرا واضحا بينا ، أن لا نألوا جهدا في طاعة الله ورسوله ، وفي تجنب التنازع الذي يكون مرده الفشل وذهاب الريح ، فقال عز من قائل :

﴿ **وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ (الأنفال ٤٦) .

حقا لقد ذهب ريحنا بسبب التنازع والطبقية والحزبية ، ولقد ذل المسلمون وهان أمرهم في المحافل الدولية ، وعدنا عالة على الأمم الأوربية في كل المطالب الوطنية والدفاعية والقومية .. إن هذه الحالة التعسة تكفينا رادعاً عما نحن فيه من التقصير والإهمال والتقاعد والتكاسل ، وإلقاء أحكام الله ورسوله وراءنا ظهريا ، وتكفينا داعيا إلى أن نعض على أحكام الإسلام وتعاليمه السامية بالنواجذ وأن نعيد نحن بدورنا الإسلام الحي القوي العملي الذي يمشي برجليه ويدفع براحتيه .. وهنا نعود أعزة شامخين ، مرفوعي الرأس ، مسموعي الكلمة مرهوبي الجانب بإذن الله .

الأخوة العالمية :

أين أضعنا التسامح الذي كان يتسم به المسلمون مع غير المسلمين ؟ ، وأين فقدنا الأخوة التي هدانا إليها القرآن الكريم إذ قال : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾ (الحجرات ١٠) .

إن هذه الآية الكريمة تقيم بين المسلمين فى العالم الأخوة العالمية وكان من معطيات الإسلام أنه جمع المسلمين على هذه الأخوة بصورة انقطع نظيرها لدى أبناء أي من الديانات ، وقد جاء التركيز على أهميتها في كثيرمن أقوال النبي ﷺ .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (متفق عليه) .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » (متفق عليه) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (رواه مسلم) .

وروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله » (رواه مسلم) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنون في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (متفق عليه) .

الصحابة رضي الله عنهم نموذج الإيمان :

إن الصحابة رضي الله عنهم هم أول من آمنوا بالرسالة الإلهية التي جاء بها النبي ﷺ ، ولذلك جعل الله عز وجل إيمانهم محكا ومعيارا لإيماننا ، فقال :

﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ﴾ (البقرة ١٣٧) .

فإيمان أئمتنا أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب وجميع الصحابة رضي الله عنهم محك لإيماننا ومقياس لمدى قوة إيماننا وضعفه ، فمن كان إيمانه أكثر تطابقا مع إيمانهم كان أكثر قبولا عند الله ، وبقدر هذا التطابق يأتي إيمانه ماضياً على الجادة المستقيمة .

وقد جاء بيان هذا النموذج أكثر وضوحا وجلاء وصفاء في الآية الكريمة : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ (الفتح ٢٩) .

إن الآية تشيد بذكر عدد من مزايا أصحاب رسول الله ﷺ ، وهي : الشدة والصمود في مواجهة الكفار ، والتراحم فيما بينهم ، والانصراف إلى الركوع والسجود ، أي الانهماك في العبادة ، وابتغاء فضل الله ، وابتغاء رضوانه ، ولاسيما العبادة على الوجوه .

معية الرسول ﷺ :

ومن اتصف بأوصافهم وكان سائراً على دربهم ومهتدياً بهديهم ، فهو الذي سيتشرف بمعية الرسول ﷺ يوم القيامة .

وستكون كل أمة يوم القيامة في معية رسولها ، نيجب – من أجل أن نحظى بشرف معية الرسول ﷺ – أن نتصف بأوصاف الصحابة رضي الله عنهم وأن نؤمن بالنبوة المحمدية والرسالة الإلهية كما آمنوا ، وأن نعض على عقيدة التوحيد بالنواجذ ، كما عضوا عليها هم ، وأن نصوغ أخلاقنا وأعمالنا وعقائدنا في قالب أخلاق الصحابة وأعمالهم وعقائدهم ، وأن نعود صخرة صماء فى مواجهة أعداء الإسلام على طريقتهم ..

وذلك كله لا يتأتى إلا إذا اتحدنا فكريا ، وتجنبنا الطبقية والحزبية كليا ، امهل كان الصحابة يعيشون مثل هذه الطبقية والحزبية ؟! كلا ! إنهم كانوا

كجسد واحد ؛ فإن لا إله إلا الله محمد رسول الله قد وحدتهم وجعلت منهم مجموعة متشابكة متراصة خضع لقوتها وشوكتها جميع الأقوام والأمم مهما كانت متقدمة .

وإذا كان إيمان الصحابة هو المعيار الذي يقاس به إيمان من بعدهم ، فهل نتفق -- ياترى - وهذا المقياس مع هذه الطبقية والحزبية التي نحن فيها الآن ؟

وكذلك هل نحرص على العبادات كما كانوا يحرصون ؟ هل يتقيد معظمنا بالعبادات الإسلامية والأحكام الدينية ؟ أو لسنا قد ترك معظمنا أفضل العبادات : الصلاة التي قال في شأنها النبي ﷺ : « قرة عيني في الصلاة » ؟

وهل نحن باحثون عن الرزق الحلال مثل الصحابة ؟ وهل نؤدي مسئولياتنا ووظائفنا عن أمانة وصدق مثلهم ؟ .

وهل نأتي جميع الأعمال في الحياة من أجل رضا الله وحده مثلهم ولا نضع نصب أعيننا من ورائها غرضا دنيويا أو مكسبا ماديا ؟ .

وهل توجد سيما الصلاح ونور العبادة على وجوهنا ، النور الذي يهدي المؤمنين طريق النجاح والنجاة يوم القيامة ﴿ **يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم** ﴾ (الحديد ١٢) .

الوحدة الإسلامية والأركان الإسلامية :

إننا نقول بملء أفواهنا : إن إلهنا واحد ، ورسولنا واحد وكتابنا واحد ، وقبلتنا واحدة .. أو ليست تستلزم هذه الوحدات أن نكون نحن وحدة ، لكن المؤسف أننا عدنا أجزاء مبعثرة ، وصورا مشتتة ، على حين أن ديننا يقوم على أساس الأركان الخمسة التى يكمن فيها درس الأمن والسلام ، والوحدة والوئام ، والأخوة والاتحاد .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : « بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » (رواه البخاري ومسلم) .

إن هذه الأركان الخمسة تعطي درس الوحدة الفكرية والعقلية والعملية والخلقية ، ولم يأل النبي ﷺ جهدا عبر ١٣ عاما في حياته المكية في بذل الجهد لتبليغ الركن الأول من أجل إيجاد الوحدة الفكرية والنظرية ، لأن الحركة الإصلاحية لا يمكن أن تتكلل بالنجاح حتى توجد بين القائمين بها وأتباعها الوحدة الفكرية ..

إن راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، قد جعلت أصحاب محمد ﷺ جسدا واحدا في الحياة المكية الصاخبة المضطربة .

ثم تدرجوا في الحياة المدنية إلى الوحدة العملية وتجلت هذه الوحدة في أبهى وأروع صورها وهي الصلاة .. إن المسلمين جميعا يجتمعون في المسجد خمس مرات في اليوم والليلة ، ويسجدون لرب واحد ويتلقون درس الوحدة والانضباط ، ثم تجتمع المدينة كلها في جامع حتى تتجلى الوحدة بصورة أعم وأشمل ، ثم تعم هذه الوحدة في العيدين : عيد الفطر وعيد الأضحى لتشمل المسلمين في المنطقة كلها .. وتعم الوحدة أكثر من ذلك في مناسبة الحج حتى تشمل المسلمين في العالم كله الذين تجمعوا في رحاب الكعبة وفي عرفة من شتى أنحاء الربع المسكون .. الحج الذي تتلاشى فيه اختلافات اللغات واللهجات والأزياء والملابس ، حيث يرتدي الجميع ثوب الإحرام الموحد ويهتف الكل بنشيد واحد وبلغة واحدة ، حتى لا يعود فرق بين العرب والعجم .

هل يستطيع دين في العالم البشري أن يقدم صورة لهذه الوحدة ؟ .. وقد كان بالإمكان أن تحدث أسباب تعوق بين هذه الوحدة ، فوضع سد دون حدوثها بفرض الزكاة والصوم .. فقد ظل هناك خليج عميق واسع من الكراهية يحول بين الغني والفقير في العالم البشري منذ القديم ... وظل الأغنياء دائما يمتصون دماء الفقراء ليشبعوا بها نهمهم المادي وجشعهم المالي ، وظل الفقراء في جميع العصور مسحوقين بالظلم والعدوان .. ولإيجاد قنطرة في هذا الخليج أوجد الإسلام النظام المالي المضبوط وهو نظام الزكاة ، وعن طريق هذه القنطرة استطاع الغني والفقير أن يتعانقا ويتعاونا ، وانهار السد القائم بينهم من الكراهية والاحتقار والظلم والعدوان .

ولكي يشعر الأثرياء بالبؤس والشقاء والجوع والعطش الذي يعاني منه الفقراء فرض الصوم الذي يسري على الفقراء والأغنياء .. وهناك يتركون ليمدوا يد المساعدة إلى الفقراء ، فيتحرك ثراؤهم الراكد ويدور مالهم القابع في مخابئ الدور والقصور .

سبحان الله ! ما أحسن الدرس الذي لقنه الإسلام للمسلمين من خلال الزكاة والصوم ، درس الاتحاد والتضامن ، والأخوة والمساواة ، والمحبة والتآلف ، والوئام والانسجام .. وقد أكد السلف ذلك كله في مواقع عملهم وسلوكهم ، وقد شهد التاريخ أن عمر بن عبد العزيز بعدله وفضله وبما نفذه من نظام الزكاة في دقة ، وبما صنع من أعمال أثبت بها عدل الإسلام في توزيع الثروة ، جعل دولته بحيث لم يعد في طولها وعرضها أحد يقبل الزكاة ..

طبقيتنا :

ويؤسفني أن أقول إن المسلمين اليوم ضربوا بهذا الدرس الذي كان قد أعطاهم الإسلام عرض الحائط ، وشققوا الوحدة ، حتى عادت عقائدهم المشتركة مختلفة ، ومساجدهم شتى ، وصلواتهم مختلفة ، وطرق آذانهم متعددة ، واتجاهات نظرياتهم متضادة ، فهل كان الصحابة رضي الله عنهم على هذه الشاكلة ؟ وهل أجاز القرآن هذا التشتت فى أية آية من آياته ، أو ليست طبقيتنا هذه سبة عار على جبين الوحدة الإسلامية ؟

افترض أن مسيحيا يؤمن بأحقية الإسلام بعد دراسته للقرآن الكريم وهو يريد أن يتشرف بالدخول فى الإسلام على يد أحد علماء الدين ، ففي أي طائفة من طوائف المسلمين يبحث عن العالم الديني ؟ أفلا يجوز لهذا المسيحي أن يقول – بعد ما يلاحظ هذه الاختلافات الكثيرة بين المسلمين – إنى أربأ بنفسي عن هذا الإسلام الذي لم يستطع أن يجعل أبناءه في صف واحد ..

كان أحد أصدقائي يشغل منصبا بارزا في القوات الباكستانية قال لي : كنت معينا على جبهة كشمير الحرة للقيام بمسئولياتي العسكرية وكان يتم بيني وبين ضابط القوات الهندية لقاء، فاتفق أن دعانا أحد الضباط المسيحيين على حفلة شاى

في معسكره ، فلما دخلت عليه راعني أني رأيت على مكتبه « مثنوي مولانا جلال الدين الرومي » .

قلت : ماذا تصنع بهذا الكتاب ؟ قال إن دراسة هذا الكتاب قد قربتني جدا إلى الإسلام . أي شيء من الإسلام أعجبك ؟ قال : كل شيء في الإسلام أعجبني إلا المسلمين . وهناك خفضت رأسي حياء وتندى جبيني خجلا .

ولما اعتنقت الإسلام ، وزرت كثيرا من العلماء الذين كانوا ينتمون إلى مختلف طوائف المسلمين وقطاعاتهم ، أزعجني جدا أن كلاً منهم كان يدعوني إلى أن أتمذهب بمذهبه ، وكنت أقول في نفسي : إن النبي ﷺ عندما شرفني بالإسلام بجوار جدار الكعبة في المنام ما أمرني بشيء من هذا ، وما أشار علي أن أنتمي إلى أية طائفة من هذه الطوائف الإسلامية المنتشرة !

مذهبـــي :

أما أنا فقد اتبعت المذهب الذي قال فيه النبي ﷺ : « ما أنا عليه وأصحابي » . وما أحسن ما قال الشاعر العربي وكأنه عبَّر عن مذهبي ، وترجم عواطفي وأفكاري :

أبى الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

الاختلاف وإرشاد الكتاب والسنة :

لماذا لا نتحد – نحن المسلمين – على أساس التوحيد ، والنبوة المحمدية – على صاحبها الصلاة والسلام – وتعاليم القرآن والحديث .. أو لم يعد – ونعوذ بالله – الكتاب الإلهي هذا القرآن منبع الهداية والنور ، أو لم يأمرنا كتاب الله أن نحسم نزاعنا في ضوء الكتاب والسنة إذ قال : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ (النساء ٥٩) .

فهل رددنا نزاعنا – عن إخلاص وصدق – إلى الله وإلى الرسول ابتغاء وجه الله ، هل طلبنا المشورة منهما لإنهاء اختلاف الأمة واضطرابها .. لو صنعنا

ذلك لكنا قد نجحنا في رأب الصدع الذي وقع بيننا دون أن نلجأ إلى الجدال والمناظرة والنقاش غير المثمر الذي ليس مرده إلا المزيد من الاختلاف،ولا يكون الهدف من ورائه إلا ايقاع الهزيمة على الخصم وإرغامه وإذلاله وإهانته .. إن المجادلة لم تستطع أن تثبت الحق وتبطل الباطل لحد الآن .

إن الاختلافات الفرعية كانت توجد بين الصحابة رضي الله عنهم كذلك ، لكن ذلك لم يوزعهم في طبقات وطوائف وأحزاب شتى .. إن النبي ﷺ اعتبر الاختلاف رحمة لأمته ، لكن العصبية القائمة بيننا جعلت الاختلاف نقمة ، لأنها وزعت قوانا وأفكارنا في جوانب شتى واتجاهات مختلفة .. حتى عدنا لا نصلي متكاتفين على جنازة ...

هل الإسلام يعلم البغض والحقد والعناد ؟!!

تالله تالله إن أمثال هذه الظواهر التي لاحظتها في المسلمين قد آلمتني شديدا ، وجعلتني في قلق فكري ونفسي ... إن ذلك كله يكفي ليجعل غير المسلمين يقولون : إن تعاليم الكتاب والسنة لا تملك التأثير ...

والله لقد حولنا ديننا بصنيعنا هذا أضحوكة ... هدانا الله !!

دعاء الهداية :

إنى استطيع أن أقول اليوم بكل يقين وتأكيد وقوة ، إن أحدا من المسلمين لو أناب إلى ربه وأخلص الدعاء ، وقال : يارب ... لقد حدثت في الإسلام طوائف شتى وأحزاب كثيرة ، فاهدني إلى الإسلام الخالص النقي الصحيح المرضي لك ، فإنه سيكشف له الطريق المستقيم .

إن مثل هذا الدعاء هو الذي خلصني من الكفر إلى الإسلام ، وأنه ليستطيع أن يجعل المسلم مسلما حقا ، تعالوا : نعرض اختلافنا ونزاعنا أمام الله ورسوله ، لأن حكم الله وحكم رسوله هو السند الأخير في النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية ، فلنخضع لهذا الحكم لنكون مسلمين حقا .

العاطفة الإسلامية لدى الشعب :

وقد لاحظت أن الشعب يتمتع في الأغلب بالعاطفة الإسلامية المطلوبة ، والحرص الزائد على أحكام الله ورسوله ، والحب البالغ لله ولرسوله ﷺ ، ولكننا من سوء الحظ منينا دائما بالزعماء والقادة والمصلحين الذين تقيدوا بمبدأ الإنجليز « فرق تسد » (DEYIDE AND RULE) والذين ظلوا يدفعوننا – من أجل إشباع نهمهم المادي وحرصهم على الجاه والمنصب – إلى أتون الحزبية والطبقية .. وإن هؤلاء وحدهم السبب المباشر والأساسي في تفرقنا وتوزعنا وضياعنا ، أولئك الذين ساوموا على الوحدة الإسلامية الثمينة وباعوها – لتحقيق أغراضهم – بثمن بخس دراهم معدودة .. وأعرضوا عن المبدأ النبوي الكريم « وما أسألكم عليه من أجر » .

سامحنا الله ، وقيض لقيادتنا رجالا صالحين أكفاء مخلصين .

وأعود لأؤكد أن الشعب يتمتع بحرص صحيح أكيد على الإسلام ، وكلما نودى باسم الإسلام لبى واستجاب دونما تأخير أو تسويف . إنه مستعد ليضحي بكل ما عنده عندما يرى أحدا يطعن في الإسلام أو ينظر إليه شزرا ، ومهما كان الذين ينادون بالإسلام من أصحاب الأغراض السياسية ، فإن الشعب المسلم مستعد لأن يخاطر بنفسه وماله فى سبيل إسلامه !!

مدى تأثري بالشعب المسلم :

ومن هذا الشعب الإسلامي البسيط تأثرت بعد دخولى في الإسلام ، بأولئك الذين تشاغلوا عن أعمالهم الرتيبة وحضروا المحكمة معي من قراهم البعيدة ماشين على الأقدام ، ليروا ماذا سيحدث في المحاكمات التي فرضها عليّ أبي من أجل اعتناقي الإسلام .. هؤلاء كانوا يستعدون دائما ليفدوني بمهجهم وأرواحهم ..

إن الشعب يتمتع بالإخلاص حتى الآن مع أنه يجهل بالسياسة الماكرة التي يزاولها أبناء العصر ..

(أكرم الله هؤلاء الإخوان كلهم بحبه وحب نبيه وخليله محمد ﷺ) .

نداء إلى الأخوة المسلمين :

إنه نداء واحد أوجهه إليهم ، وأقول لهم : تعالوا نعاهد بعضنا على أن نلتزم بالحياة الإسلامية ، وأن نصوغ عقائدنا وأعمالنا وسلوكنا وأخلاقنا وسيرتنا في قالب السنة النبوية ، حتى نحظى بشرف شفاعته يوم القيامة ، وحتى ننجح يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وذلك أن الفوز في الدنيا والآخرة مرهون بطاعة الرسول ﷺ المؤدية بالتالي إلى طاعة الله ، قال تعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ (النساء) .

العمل هو مدار النجـاة :

والعمل هو مدار النجاة في الإسلام ، ولا ينفع في ذلك اللون أو العرق أو الجنس أو الوطن أو اللغة .. قال ﷺ يركز على أهمية العمل وهو يخاطب فلذة كبده فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة : « يا فاطمة بنت محمد اعملي لنفسك فإني لا أملك لك من الله شيئاً »

أمنيتي الأخيرة :

وإني لأتضرع إلى مولاي الكريم مالك الملك سبحانه أن يجعل المسلمين في جميع العالم مسلمين حقا ، وأن يكرمهم بالتوفيق للإلتزام بالحياة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، وأن يجنبهم جميع السيئات والمفاسد والمفاتن ، وأن يقوي العالم الإسلامي ، وأن يصون وطننا الحبيب باكستان عن كل مكروه ، ويجعله مهوى الإسلام .

وإني لآمل من القراء الكرام أن لا ينسوني في دعواتهم المخلصة !! اللهم أيد الإسلام والمسلمين بالإمام العادل ، والخير ، والطاعات ، واتباع سنن خاتم المرسلين ... اللهم انصر من نصر دين محمد ﷺ ، واخذل من خذل دين محمد ﷺ ..

.. اللهم آمين ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين !!

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٦ / ٩٠

الترقيم الدولي ٢ ـ ٧٢ ـ ١٤٣١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN